محمد مزيد

هليل الميتافيزيقي

قصص

احتفاءً بالرموز الثقافية والأدبية اختار
الاتحاد العام للأدباء والكتّاب في العراق
الباحث والناقد **فاضل ثامر**
وسماً لمنشوراته عام 2022

بطاقة الفهرسة

813 / 92

م مزيد، محمد

هليل الميتافيزيقي / محمد مزيد

بغداد : منشورات اتحاد الأدباء، 2022.

94 ص ؛ 14×21 سم

- القصص العربية / العراق

م.و.

/ 2022

المكتبة الوطنية / الفهرسة اثناء النشر

الطبعة الأولى 2022

رقم الايداع ( ) في دار الكتب والوثائق ببغداد لسنة 2022

ISBN: 978-9922-677-53-8

اصدار الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق - بغداد

جميع حقوق الطبع والنسخ والترجمة محفوظة للاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق حسب قوانين الملكية الفكرية لعام 1988، ولا يجوز نسخ أو طبع أو اجتزاء أو اعادة نشر أية معلومات أو صور من هذا الكتاب إلا بإذن خطي من الدار أو المؤلف.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means; electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior permission in writing of the publisher. This book is the writer's responsibility, and the opinions contained therein do not necessarily reflect the opinion of the publisher.

تصميم: نصير لازم

محمد مزيد

هليل الميتافيزيقي

قصص

2022

الأيام الطويلة

صار هليل مخرجا سينمائيا، وطُلب منه أن يخرج فيلما عن حفيد الاسكندر المقدوني، من بطولة صهر الحفيد، والفنانة نبيلة عبيد، يحمل عنوان " الايام الطويلة "، في البداية لم تقتنع نبيلة عبيد بالمشاركة في الفيلم، لانها عندما قرأت السيناريو وجدته تافها، لكن هليل طار الى مصر لإقناعها، وبعد أسبوع جاء بها، بعد توقيع عقد سال لها لعابها حيث كانت أجور مشاركتها في هذا الفيلم العراقي تعادل عمل عشرة أفلام مصرية.

دخلت الفنانة الى قصر الحفيد، حسب الاوامر، التي تزعم بأن عائلة القائد تريد أن ترى كادر ممثلي الفيلم، وهم، في الحقيقة، يريدون رؤية الفنانة المشهورة عن قرب، ذات الضحكة المبهرة التي تهتز لها الجدران، ولجت باحة القصر بجسدها الأفعواني وهي ترتدي ثوبا أبيض، يلتصق عليها، لاحظ المجتمعون، إنها بجسدها المثير، كانت روحها تلتهب بالنار الداخلية، لا أحد يمكنه أن يقدر كيف تقبع روحها في هذا الجسد الذي تحيط به شهوة النار كأنها تريد أن تلتهم كل ما يقع عليها ألسنتها، ينظر إليها المجتمعون بعيون صمغية وهي تمشي على إيقاع رنين كعبيها، تضع على فمها الصغير صبغة حمراء، وعندما تصافح كل واحد من الحاضرين، يطلق فمها الفراشات والنار والقبل أثناء ضحكاتها الموسقة التي لا يعرف أحد كيف تعزفها روحها النارية. ومن دون الجميع، أقترب فمها من هليل وقبلت خده الاسمر المتعرق،

فقال "انفلكنا والله"، جلست بجانب السيدة زوجة القائد التي ستمثل شخصيتها في الفيلم.

عبرت السيدة منذ النظرة الاولى للفنانة عن حقدها وحسدها وغيرتها، من الجمال الانثوي النيراني الذي تتمتع به نبيلة عبيد، فتجهم وجهها الملطخ بالأصباغ، كان كل الموجودين في القاعة من وزراء واعضاء مجلس قيادة الامة وفنانين ورجال حماية وندّل، ينظرون إليها، وهي تضع ساقاً فوق الأخرى، فأصبحت محط اهتمام الجميع، لا تدري زوجة القائد بم تحدثها، لذلك لاذت بالصمت وتلبد وجهها بالغيوم، تجهّم، كانت تنظر بطرف خفي الى ساقيها المبرومتين بعناية فائقة، والى بشرة وجهها ناصع البياض، تذكرت ماضيها، كيف كانت تركض في المزارع حافية القدمين، تطارد الارانب والدجاج، حتى صار في كعبيها أخاديد لم تنجح كل عمليات التجميل في باريس ولندن من ردمها.

أنتهى الاجتماع بعد تناول المعجنات المستوردة والعصائر الصفراء والحمراء الى الوقوف حول الفنانة التي توسطت الحضور ليلتقط المصورون صورا تذكارية معها، ولم تكن زوجة الاسكندر من بين هذا الجمع، اذ انصرفت هاربة في أحد ممرات القصر، كي تنقذ نفسها من تلك النظرات اللاسعة التي يوجهها الرجال الى الفنانة الفاتنة .

وبعد أسبوع بدأ العمل بالفيلم، أصبح هليل، في كل مواقع التصوير مركز ثقل مهم للإجابة عن كل الاسئلة التي يوجهها بعض الفنانين عن ثيمة الفيلم، فقال لهم عبارة واحدة، انه يتحدث عن حياة ... ثم توقف قليلا، كاد أن يقول عن حياة قائدنا الذي " دهرنا دهيرة"، لكنه تذكر اعدامات التيزاب

والكلاب الالمانية الجائعة التي تنهش الاجساد بلا رحمة، فقال عن حياة قائدنا وهو يواجه الاعداء الشرسين .

وعند كرفان الفنانة الخاص بملابسها وطعامها ومكياجها، يقف صحفي قلقاً مذعوراً مع مصوره يتوسل بهذا وذاك، يريد تصريحا من الفنانة لصحيفته، يريد أن يلتقط صورة معها، لكن رجل الحماية المتجهم الذي يقف عند باب الكرفان، حين أقترب الصحفي منه لهذا الغرض، لم يكن يعرف معنى ريبورتاج صحفي، تصور انها كلمة أستعمارية، يجب أن يعاقب عليها الصحفي ، لكن فطرة رجل الحماية التي تعتمد دائما على أزاحه كل من يعكر صفو واجبه، أمسك بالصحفي من رقبته وأدار ظهره ورأسه مع ركلة مدوية على مؤخرته وهو يردد مع نفسه " يريد يسوي روتاج القشمر".

لا يعلم الصحفي أن رجل الحماية كان يشنف كل أسماعه، لكي يصغي الى ضحكات، تطلقها الفنانة بين حين وآخر مع الماكيرة التي جلبتها معها من مصر، لذلك كان يجب أن يتصرف بحزم لأبعاد شبهات الماسونية والروتاج الذي نطق به الصحفي على مقربة من كرفان حبيبة وضيفة القصر الجمهوري. ولما اشتكى الصحفي الى المخرج عن سوء المعاملة التي تلقاها، قال له هليل " انفلكنا والله" ثم طيب خاطره " احسبها علي يا أستاذ، لا تزعل ."

مضت أشهر حتى أكتمل تصوير فيلم الايام الطويلة وهو يتصدى لملحمة قصة حياة الفداء للقائد حفيد الاسكندر، لقد تم صياغة المونتاج على وفق تعديلات متكررة من قبل الوزراء ومجلس قيادة الامة والمجلس الوطني وكادر الحزب الاسكندراني المتقدم، ثم جاء وقت عرض الفيلم أمام انظار القائد

المحبوب، في قاعة خاصة بالقصر، حيث حضر الجميع لمشاهدته، وبدأ العرض، ولما وصل الفيلم الى مشهد استخراج الرصاصة من ساق الممثل صهر القائد الذي يمثل دوره كونه قريب الشبه منه، ظهر على وجه الممثل الالم وهو يصارع لحظة استخراج الرصاصة بدون تخدير ، قال القائد غاضبا " اوقفوا العرض " فتوقف عرض الفيلم، ألتفت الى الوزراء وقال " هنا الفيلم لم يكن حقيقيا، وسأل طبيبا كان يجلس في آخر الصف يا فلان أنت الذي عالجتني هل كنتُ اتألم حين استخرجت الرصاصة من ساقي؟ نهض الطبيب وقال وهو يرتجف "كلا سيدي ، كنت تضحك " فانبرى وزير الاعلام الذي يجلس في الصف الاول وقال " سيدي كان يجب أظهارا المعاناة التي تكبدها سيادتكم اثناء .. " فقاطعه القائد زاعقا " أنجب أنت " لاحظ هليل الذي كان يجلس بجانبه، أن الوزير خنس ولاذ بالصمت وهو يرتجف، ثم ردد مع نفسه بعد هذه الزعقة " أنعدم الوزير "، بقي الفيلم جامد الصورة على الساق، نهض القائد، وقال أعيدوا هذه اللقطة. همس هليل في نفسه " انعلسنا والله ."

تم أعادة اللقطة، بأن جُعل الممثل حين تُستخرج الرصاصة من ساقه باشا ضاحكا. ومن ثم عُرض الفيلم ثانية بعد إعادة تصوير المشهد، ولقي رضى وقبول القائد. بعدها عُرض الفيلم في كل دور السينما في بغداد والمحافظات والقرى والارياف مجانا، لعدة شهور، حتى أصبح جمهوره بمرور الوقت في تلك السينمات يتناقصون حتى وصل عدد المشاهدين نفرا أو نفرين على أكثر تقدير، مما جعل أصحاب السينمات يقفون عند ابواب سينماتهم يصيحون على المارة" يا ناس تفضلوا شاهدوا الفيلم مجانا، مع لفة فلافل"، لكن لا أحد كان يلتفت الى نداءاتهم.

ولما أراد هليل أن يستطلع رأي الجمهور ويرى تأثير الفيلم عليهم، دخل أحدى السينمات في بغداد فوجد شخصا واحدا يجلس في آخر الصف يدخن واضعا رأسه على متكئ الكرسي، جلس هليل بجانبه وشم رائحة خمرة رخيصة تفوح منه، وبعد إنتهاء الفيلم سأله " شنو رأيك خوش فيلم مو؟ " ألتفت المشاهد الوحيد الى المخرج وقال بصعوبة، هذا الفيلم ميتازيقي ".. نهض هليل بسرعة وقبل أن يغادر صالة العرض قال " انعدمنا والله."

حمام بارد في جو ساخن

فكت قبضتها عن ذراعي عندما أدخلتني الحمام بعنوة، فوجدت نفسي في الظلمة بعد أن أسدلت الستارة البنفسجية التي تفصل الحمام عن باحة الحوش الصغير المتواضع.

ارتبكت، هذه هي المرة الاولى في حياتي التي أرغم بها على الاغتسال خارج منزلنا، وليس لدي القدرة على مخالفة أوامرها، وأنا صغير لا أفقه من الحياة شيئاً، عمري في الثالثة عشر.

كشفتْ الستارة فوجدتني مازلت أرتدي ملابسي، قالت بصوتها المزعج " أخلع ملابسك بسرعة، أنت قذر ورائحتك وصلت الى السماوة ". دشداشتي مقلمة بخطوط حمر وبيض، فصّلت على مقاسي الهزيل منذ العيد الماضي وليس هناك شيء أرتديه تحتها، مثل حال كل أبناء مدينتنا الجنوبية الفقيرة.

ربما تتساءلون، ما الذي يجعل أمرأة في الأربعين من العمر، تأمر صبيا مثلي على الإغتسال في حمامها؟

ملخص الحكاية، إنني لم أسجل في المدرسة الابتدائية حتى هذا العمر بسبب خوفي من المعلمين الذي يضربون التلاميذ بالعصا الخيزران، وأقنعت والديّ بأنني سأعمل في بيع الصحف والمجلات وليس لدي الوقت للدراسة.

لكن والدي بادر الى الاتفاق مع (ملة فطم) لتعليمي القرآن واللغة العربية، ووجدتني اداوم مع ثلة من بنين وبنات تكاد اعمارهم تقارب عمري.

في قاعة الدرس وهو عبارة عن حوش صغير سقفه من السعف والحصير، كانت لدينا ست فتيات وخمسة فتيان، كنت كبيرهم، أتذكر أن الملة حين رأتني مع والدي، في أول يوم، أندهشت وقالت له " هذا رجال وليس صبيا كما أخبرتني، فضحك والدي وقال لها أن القطار فاتني كثيرا ويريدني أن أتعلم عندها قبل تسجيلي في المدرسة الابتدائية بداية السنة الدراسية للعام ٦٣ / ٦٤.

كنا نجلس في الظل، تحت سقيفة السعف والخوص حيث كانت الشمس الحارقة تتخلل بقعة لم تسقف جيدا فتترك على ملابسنا ووجوهنا أنواعا من الظلال والرسوم الجميلة، التي كنت أراقب اشكالها أكثر من الدرس.

أجلستني الملة آخر الصف على حصيرة، وبسبب الملل كنت أقتلع منها أعواداً وأغرز بها مؤخرات الفتيات او الفتيان فتنتصب ظهورهم فجأة من دون الالتفات الى الخلف، ومن غير أن تلاحظ الملة طبعا. صاحت رددوا خلفي " الحمد لله ، رب العالمين " فنردد خلفها ، كنت أقول الكلمات بصوت خافت ولا أعرف كيف اكتشفت الملة خفوت صوتي ، فسحبت عصى من الخيزران تقع خلف السبورة وقالت " من لا يردد معي اهرش جلده بهذه " ولوحت بالعصى " أريدكم أن ترددون بأعلى أصواتكم " ، " الرحمن ، الرحيم " بقي صوتي خجولا، ذلك لأنني أشعر أن فيه خشونة لا تتلائم مع أصوات الصغار الطفولية، فقالت لي " تعال أجلس هنا وأسمعني صوتك " جلست في أول الصف وبدأت تتلو الآية " مالك يوم الدين " فزعقت بصوتي الأجش مثلما أرادت ، فابتسمت لأنها شعرت بانها انتصرت علي .

بعد أربعة أيام من الدراسة، جئت في اليوم الخامس مبكرا ولم يبلغني أحد أن يوم الجمعة عطلة، كان كل التلاميذ يكرهونني، بسبب غرز الاعواد في أجسادهم، فلما وصلت الى بيتها، مسكتني من ياقتي وقالت "جئت بوقتك" أخذتني معها الى السوق وابتاعت الخضراوات والسمك الصغير "الزوري" ورقية كبيرة حملتها بين ذراعي وأنا أسير خلفها أتراقص مع رقصة مؤخرتها الكبيرة. ولما وصلنا الى بيتها أشارت الى مكان وضع الرقية، ثم اقتربت مني بعد أن لاحظت تصبب العرق من كل انحاء جسدي، وشمتني فقالت " منذ متى لم تغتسل؟" مسكتني من ذراعي بقوة وأدخلتني الحمام.

لم أخلع دشداشتي، خجلا، لكنها أزاحت الستارة فجأة ودخلت علي، بثوب يكشف كل إنحاء جسدها. مسكت دشداشتي من الأسفل، ورفعتها الى الأعلى، زعقت بي أرفع يديك، فرفعتهما لأصبح أمامها عاريا، فتحت صنبور المياه في حوض صغير معداً لهذا الغرض، ثم غرفت المياه بالطاسة وسكبتها على رأسي، بعد أن أجلستني على دكة صغيرة وهي واقفة. فركت رأسي بالصابون بقوة ، تخللت أصابعها بين شعري بحماس وهي تسكب المياه ، كنت أستمع الى حمحمتها، ولهاثها وهي تبذل جهدها بين رأسي وظهري ومؤخرتي، كانت تكرر هذا العمل، حتى إنني أشفقت عليها من الجهد الذي تبذله من أجلي، وبعد هنيهة، رأيتها خلعت الثوب الشفاف، تدلى ثدياها على رأسي، وبدأت توزع حركة يديها على كل انحاء جسدي، وتفركه بالليفة حتى اقتربت من الإماكن الحساسة، حينئذ شعرت المرأة بالذعر والمفاجأة، لما رأت ما لا ينبغي رؤيته، عندئذ طلبت مني الاستلقاء على ظهري، كي تفرك جسدي بالليفة، جلست على وسطي وأخذت تمرر الليفة على صدري،

كررت تمرير الليفة مرات عديدة ، حتى شعرت أن جلدي سيسلخ من كثرة الحك، ثم أخذت تطلق أصواتا عجيبة لا عهد لي بها ، أصابتني رعشة خوف من أصواتها العجيبة، التي كانت بين الأنين والحشرجات والتأوهات، كانت تزعق بإصوات حيوانية، ثم أخذت تقبلني من خدي ومن شفتي، بعدها قالت بفرح "وين كنت مضموم".

ثم بعد دقائق هدأت وسكبت المياه على جسدها وعلى جسدي، وارتدت ثوبها الشفاف، خرجت من الحمام مسرعة، جلبت عصى الخيزران، وقالت بغضب" أسلخ جلدك بهذه أن حكيت ما جرى لك الآن" .. والى هذا اليوم وأنا أخاف العصا الخيزران.

صفاء تخرج من بيت الزوجية

خرجت الفتاة الجميلة صفاء نادر من بيت الزوجية هاربة بعد منتصف الليل، تسير عكس اتجاه المطار الدولي، ظهرها للسيارات المقبلة منه بإتجاه ساحة أم الطبول، يتبعها تسعة عشر كلبا، يسيرون على هدي إيقاع مشيها السريع والمتعثر أحيانا، وهي ترتدي ملابس النوم، تتلفت كل بضع دقائق الى الخلف، بحثا عن سيارة حتى تنتشلها من برد الليل، وخوفا من الكلاب التي تسير خلفها، مثل قافلة، واحدا بعد الاخر .. تعلم صفاء إنها تهورت حين قلبت الطاولة على زوجها، الذي كان يماحكها ويصفعها على خدها بين حين وآخر، قبل أن يطيح به آخر قدح من العرق، لينام كالعادة وحده في المطبخ الذي يخلو من الطعام، لكن جزء من عقلها كان يقول لها حسناً فعلت وتجرأت، كنت في البدء مضطرة لتقبل حياتك معه، بالرغم من أن كل تصرفاته الصبيانية كانت تجعلك مضطرة الى الهروب من مربي الحمام، الذي يطعمها اكثر مما يطعمك، حسناً فعلت حين هربت حافية القدمين، ولما شاهدها آخر سكير تركض في الشارع، هز يده ، وسال لعابه وقال ولكم عمي والله اندهرنا دهيرة، لو العرق الذي شربته مغشوش، لو الحرمة التي ركضت من أمامي، كانت حرمة صدك!!

توقفت سيارة حديثة على بعد أمتار قليلة، ولما اقتربت منها أخفض سائقها زجاج الباب الامامي، أصعدي يا حلوة، الدنيا باردة عليك، نظرت اليه وتوقفت، كان يرتدي بدلة عسكرية زيتوني، وجهه يطفح بالاحمرار، برغم من

إنه حنطي، وحتى تتخلص من قافلة الكلاب خلفها، لم تجد مناصا من قبول دعوته، وبمجرد أن ابتسمت فتح لها الباب ثم صعدت.

انطلقت السيارة بسرعة، التفتت صفاء الى الوراء، فوجئت بالكلاب مازالت تركض خلف السيارة، بالرغم من سرعتها. طوال مدة وجودها بالسيارة الدافئة لم يتفوه سائقها الوسيم بكلمة، دخل في أحد المنعطفات قبل ساحة ام الطبول، كانت منطقة مظلمة، بيوتها واسعة وكبيرة، وقف بجانب أحد البيوت.

ترجل، شرّع الباب الخارجي، ثم أدخل سيارته الى البيت بهدوء، أطفئ محركها. قال لها تفضلي. بقيت جالسة في مكانها حتى أستدار من جهة مؤخرة السيارة، فتح لها الباب، فترجلت خائفة مصدومة لا تعرف ماذا تقول.

سار أمامها في الممر الطويل باتجاه باب المطبخ، وبين لحظة وآخرى يتلفت خشية من هروبها، غير إنها كانت تتبعه بخطوات بطيئة، لسعت برودة الكاشي قدميها، فتح لها الباب ودخلت بعده، ثم أغلقه خلفها، أنقهر لما شاهد قدميها الحافيتين وهي بهذا الجمال المثير، مسكها من ذراعها برقة وسار بها الى الحمام، " اغسلي قدميك هنا ".

يقف عند باب الحمام ينظر الى الساقين المبرومين، وعندما أنهت غسل قدميها جلب لها نعالا نسائيا، لبسته وسارت خلفه الى الصالة، فوجدت شيئا مبهرا لم تره في حياتها كلها، أثاث وثير، وصور عديدة معلقة موضوعة في إطار لسائق السيارة مع القائد. فتح جهاز التلفاز، ظهر إنها كانت أخبار الساعة حيث بدأت المعركة الاخيرة مع العدو الاميركي والتي سميت بأم الحواسم، حيث قام القائد بجولة يرافقه عدد كبير من الحماية، على بعض

قطعات الجيش في بغداد، فقال لها شاهديني، ستريننى بينهم. دعاها الى الجلوس وذهب الى المطبخ، جلب لها ماعون فيه شريحة لحم غنم وقطعة من الخبز في صينية وبعض المقبلات، تركها مع اللحم التي لم تذق مثله منذ دخول جيشنا الى الكويت قبل سنوات، ذهب ليستبدل ملابسه، ولما قدم بدشداشته البيضاء، وبيده قدح فيه سائل أصفر، لم تنتبه الى إنه لم يرتد تحت الدشداشة إي شيء، كانت قد أنهت شريحة اللحم كلها مع الخبز والمقبلات، أنقهر عليها لإنها كانت جائعة بضراوة، وبعد أن أنهى القدح، مسكها من كفها برقة وسار بها الى غرفة النوم.

بعد ساعة، أتصل تلفونيا، جاء كبير رجال الحماية ومعه إثنان، مضى الى الغرفة نفسها، غير أن هذا الكبير أتصل بآخر أكبر منه، يبدو إنه أمره بجلبها، فصعدت بسيارته وأخذها الى القصر، وبسرعة صاروخية وصلوا الى هناك، وأدخلوها على القائد العام للقوات المسلحة، الذي كان يدير عمليات صد الهجوم الامريكي، ثم أغلقوا الباب خلفها.

نترك صفاء في غرفة القائد، ونذهب الى الرجل الأول الذي ألتقطها، إذ إنه بعد ساعة، عندما أخذ وطره منها، تحول هذا الشاب الوسيم الى كلب، لا يعلم كيف يتصل بهم ليخبرهم بالذي جرى له، ظل ينبح ويعوي عواء البكاء والندم، من غير فائدة، وجد كبير الحماية نفسه في غرفته بالقصر وقد تحول أيضا الى كلب، وأخذ ينبح ويعوي من دون فائدة، حتى إنه أقلق راحة كل الموجودين بالقرب منه وأخافهم، كان يبدو إنه يريد أن يخبر القائد الا يطأها، لكنهم منعوه وطردوه خارج القصر.

وفي الصباح، وبعد أن اشتدت المعارك في الجنوب، وأحتل الأمريكان البصرة والناصرية ومحافظات الفرات الاوسط، وأتجه الجيش الاميركي الى بغداد، في تلك الاثناء ، خرج من القصر عدد كبير من الكلاب، في مقدمتهم كلب كبير، كلهم ينبحون ويعوون ، يسيرون خلف صفاء نادر التي كانت تسير بصعوبة حافية القدمين وسط بغداد المدمرة .

نادية لطفي وهليل

أرسل هليل رسالة حب الى الفنانة نادية لطفي بالبريد العادي، ولما وصلت إليها استغربت من الورقة الملونة التي كتبت بها رسالة الحب، وأشد ما أثار دهشتها وإستغرابها، أن المرسل العاشق الولهان، كتب لها في نهاية الرسالة " إنك لم تتذوقي الملح العراقي، سأغمرك به، حالما توافقي على الزواج بي، طعم ملحنا العراقي مثل العسل ".. شعرت الفنانة بالخيلاء وهي تعيد قراءة الرسالة أكثر من مرة، لاسيما بعد فشل علاقة حب عصفت بها مع أحد الفنانين الاكثر شهرة منها.

تتكون رسالة حب هليل من سبع صفحات، وعلى ظهر كل صفحة كتب عنوانه، كانت الرسالة عونا وقارب نجاة لها، للتغلب على حزنها المدمر الذي تمر به، فكتبت له ردا بالغ الجمال والرقة تدعوه الى زيارة مصر والالتقاء بها نكاية بالفنان الذي كسر قلبها الصغير. وبعد بضعة أسابيع وصل جواب نادية لطفي الى عنوان هليل في بيته، كانت الحرب الايرانية قد اشتعلت للتو، فلم يصدق هليل ما جرى له، قرأ رسالة الفنانة عشرات المرات وطار صوابه من الفرح، فليس هناك في البيت من يعيش معه سوى والدته العجوز التي لا تفهم اي شيء من احوال دنيا الفن والفنانين فلم يخبرها ولدها بالخبر السعيد، أرتدى قاطه البنفسجي ووضع وردة بيضاء في جيب سترته الاعلى، وارتدى قميصاً أبيض وربطة عنق حمراء وذهب بالرسالة الى مبنى الاذاعة والتلفزيون، ليخبرهم بأن الفنانة نادية لطفي تدعوه الى زيارة مصر ليمثل معها في فيلم "

أبي فوق الشجرة" الجزء الثاني ، وفي استعلامات الاذاعة والتلفزيون، كان هناك رجال يرتدون الملابس العسكرية الانيقة وهم يتبعون الفوج الرئاسي، قال لهم إنه يريد مقابلة المدير العام، لما عرفوا السبب، أمسكه أحد جنود حماية المؤسسة من سترته البنفسجية، دفعه امامه باتجاه الباب الذي دخل منه، ثم ضربه بركلة مدوية " جلاق " على مؤخرته، وقال له اذا عتبت باب المؤسسة، نأخذك الى الشماعية، لكن هليل بالرغم من إلم الركلة، وقف على رصيف الشارع في الجهة المقابلة الى باب الاذاعة بقي ينتظر، فقد أكتشف أن القائد يزور المبنى حاليا، ضمن زياراته التفقدية، وقد ألتقى الرئيس بالفريق الذي كان يعد صور المعركة، وخصوصا الشاعر الفلسطيني الذي كان يُعرف بصوته الجهوري، وبعبارته الشهيرة "ها هم قتلى المجوس تدوسهم اقدام جند القائد حارس البوابة الشرقية".

لما خرج القائد من المبنى بسيارته المرسيدس مع موكبه الضخم، صاح هليل عليه " سيدي الرئيس " توقفت سيارته، ركض رجال الحماية إليه لجلبه ماسكين ذراعيه بعنف، قال له " سيدي أريد سيارة برازيلي، أهل خطيبتي لا يوافقون على زواجي الا ان تكون عندي سيارة" ضحك الرئيس، قال لهم اعطوه سيارة يابا ".

سُجل أسمه وعنوانه وبعد يومين أستلم هليل سيارة برازيلي زرقاء اللون من الشركة العامة للسيارات.

بعد أسبوع، باع هليل السيارة وقبض ثمنها أضعاف مضاعفة من الدولارات، وأستطاع أن يستخرج جواز سفر، ليذهب بعدها الى السفارة المصرية ليحصل على الفيزا ثم يسافر هليل الى مصر.

في المطار تلقفه أحد المصريين، وبعد أن عرض عليه قصته مع الفنانة نادية لطفي، قال له انه سيأخذه الى شقة أخت الفنانة، صعد سيارة التاكسي مع المصري، وقبل الوصول الى الشقة، أخذه الى مقهى قريب منها أجلسه فيه " استريّح هنا" صعد المصري الى شقته، رتب الامور مع زوجته ثم عاد إليه.

بعد شرب الشاي والسجائر اتجه المصري وهليل الى شقة أخت الفنانة نادية لطفي، التقى هليل عند باب الشقة بامرأة جميلة ترتدي ملابس فاضحة، بلع هليل ريقه عشر مرات ثم دخل الى الشقة، وعند الليل، بعد أن تناول الكثير من الخمرة، جاءت راقصة شقراء تشبه الفنانة، رقصت له ، وفرفش هليل ، واخذ يرقص معها، حتى فقد صوابه، قالت له الراقصة انه اختارته ليكون بطلا معها في فيلمها " ابي فوق الشجرة الجزء الثاني " بدلا من عبد الحليم حافظ، واشترطت عليه مبلغا من المال كي يوافق المخرج على قبوله، منح هليل، بعد كتابة العقد معه، كل المبلغ الذي بحوزته الى الرجل المصري على أمل أن يبدأ تصوير الفيلم في اليوم التالي.

وفي اليوم التالي، صعد هليل التاكسي بقاطه البنفسجي والوردة البيضاء في اعلى جيب سترته مع الربطة الحمراء، يصاحبه زوج أخت الفنانة نادية لطفي، وبعد مسير نصف ساعة، توقفت السيارة وسط الميدان، في ذلك الزحام البشري، قال له المصري، أنتظر هنا، ستاتي سيارة الفنانة بعد قليل، ثم اختفى الرجل وسط الزحام البشري.

بقي هليل ينتظر ساعة وساعتين وعشر ساعات وكل اليوم، وهو لحد الان مازال في الميدان ينتظر مجيء الفنانة نادية لطفي بسيارتها.

أفعى الأنثى

عبّرت الفتاة الجميلة نوال عن خوفها وهي جالسة على ضفة نهر دجلة مع هليل، في شارع " أبو نؤاس "، ويعود سبب خوفها الى مصابيح الجهة المقابلة لجلستهما الشاعرية التي تنبعث من القصر الجمهوري، تخشى عليه وعلى نفسها من العقارب البشرية.

لا يهتم هليل الذي شرب ثلاث عبوات بيرة، لمشاعر القلق والخوف لدى نرجس، ذلك لأنه في الغد سيلتحق الى وحدته العسكرية في مجنون، قرب هور الحويزة، وفي هذه الساعات منذ الظهيرة ولحد الآن التي قضاها يتغزل بها، لم يصل الى مراده بلثمها قبلة واحدة، ترد له الروح الى جسده.. فهي تمانع وتخاتل، " عيب عيب الناس"، ولما رمى آخر عبوة في النهر وتابع جريانها، وهو يمني نفسه بالقبلة العصية، حتى فوجئ بزورق مطاطي يسير بسرعة جنونية من جهة القصر الى الضفة التي يجلس إليها هليل وحبيبته، في هذه اللحظات أستشعر بالخطر الداهم، وعندما أراد النهوض ماسكا يد نرجس، صاح عليه أحد جنود الحماية، واقفا في بطن الزورق رافعا البندقية مسددا عليهما، "توقف مكانك والا سنرمي"... صاحت نوال "ولك انفلكنا هليل". أُصعد هليل وحبيبته نوال في الزورق المطاطي وأتجه بهما الى الضفة الاخرى حيث الاضواء الملونة التي ترسم لوحة باهرة على مويجات النهر، قيدت يدا هليل الى الخلف وعصبت عيناه ، بينما تركت يدا وعينا نوال، اجلسها احد جنود حماية القصر بحضنه، ماسكا ذراعيها بشدة لئلا تفلت منه، كان هليل

يحاول الافلات من القيد من دون فائدة، فقال لهم اقتلوني واتركوها ارجوكم، لم تنفع توسلاته، فقالت له " هليل اصبر ، لن يقتلوك الله معنا " تضاحك الجنود، وهمس الذي كانت تجلس بحضنه بأذنها " اخبريني يا حلوة أين الله، وسأتركك".

وصلوا الى الضفة الاخرى، رسا الزورق في مكان مظلم، جرجرت نوال من ذراعيها، فقال أحدهم وهو يشير الى هليل " هذا القشمر ماذا نفعل به؟ " أجاب آخر " نرميه وسط المياه وهو ومكبل حتى يغرق " آخر قال " نفك قيده ونرميه " اتفقوا جميعا على هذا الرأي. وتم رميه.

أخذت نوال الى كوخ صغير، يطل على النهر، دخل معها الجندي الذي كان يحضنها، مضت بحدود ساعة ولم يخرج، بعده دخل الآخر، وهذا بقي نصف ساعة ولم يخرج أيضا، والاخير دخل، بعد ربع ساعة لم يخرج، كل واحد كان يدخل الكوخ تخرج له أفعى من بين فخذيها تلدغه في مكانه، هكذا قضت عليهم جميعا، ثم جاء جنود آخرون، وجرى لهم ماجري لسابقيهم.

لما سمع رئيس الحرس بالواقعة الدامية، تم تطويق كوخ نوال، وعم الهرج والمرج كل إنحاء القصر، صار الفوج الرئاسي بحالة الانذار القصوى، حتى وصل الخبر الى الرئيس، الذي فز من جلسته مرعوبا، فقال لهم أنا لها.. ترك الرئيس قصره، وجاء يمشي بمنامته، ثم دخل الى الكوخ نافخا صدره، ولم يخرج منه لحد الآن.

هليل وهند رستم

تأتي هند رستم الى الجندي هليل بالليل، وهو في موضعه بالحجابات الامامية في جبهة الحرب العراقية ضد إيران، في تلك الليلة جاءت إليه، بملابسها المغرية، نامت بجانبه وهي تنشج وتبكي ببحة صوتها المثير، فأستيقظ هليل، سألها ما الخبر؟ لماذا تبكين؟ قالت له "رأيت قائدكم الكبير، يصعد على الحصان، أخذني معه ووضعني أمامه، لا أعرف الى أين، ولما سقط القائد من الحصان، بقيت أنا على ظهره، وهذا طار بي الى الأعلى، ومن شدة الخوف، أخذني الحصان الى زمن بعيد، الى المستقبل، فرأيتك، وياليتني لم أرك، ميتا في العراء مع المئات من الجنود من أبناء جلدتك، وها أندا أطلب منك مغادرة هذا المكان فورا، لأنك ستدفن فيه ذات يوم، ضحك هليل وبان أثر السجائر الرخيصة على أسنانه، فقال لها " هل الحصان معك الان ؟" هزت رأسها بتلك الطريقة المثيرة كما فعلت مع عمر الشريف في فيلم " ايه اللي انت عملته"، فقال " هيا خذيني معك ؟!" صعد هليل على ظهر الحصان وصعدت هند رستم أمامه ، كانت بكامل مؤخرتها بحضنه ، تكهرب هليل، ولم يعرف كيف يمسك حبل اللجام اذ أخذت يداه ترتعشان، لكن الفنانة عرفت مغزى ارتعاشه فاحتضنت رقبة الحصان وقربت فمها من أذنه وهمست بضع كلمات، شعر الحصان بالإثارة، وهو يخب، ثم طار بهما الى الفضاء، فلم يلحظ أحد من الجنود طيران هليل وهند رستم، بسبب الليل المدلهم.

ينظر هليل الى الاسفل ماسكا اللجام ويرى خلف المواضع قد أشعل بعض الجنود نارا خافته لا يراها العدو، يحمون طعامهم او يعدون لأنفسهم الشاي، بعد دقائق من التحليق أنحرف الحصان بطيرانه باتجاه الاراضي العراقية، ولما استوى، بدأ يصعد أكثر فأكثر في الفضاء الاسود المترامي، لا يريد هليل أن يصدق إنه الان يحتضن الفنانة من خصرها وهي تقود اللجام، بدأت موسيقى كونية تفعل فعلها في جسده، فالتوتر وصل الى مستو عال، لم يبلغ عنده من قبل حتى في انضج ايام مراهقته، لا يعرف ماذا يفعل بهذا التوتر الذي بدأت الفنانة تشعر به وتقهقه مستمتعه، لم تشعر بالضيق من ذلك، بل أخذت تطلق ضحكات عالية النبرة متتالية، بصوتها المبحوح الجميل الذي يعشقه.

ولما وصل بهما الحصان الى بغداد، كانت الأضواء مبهرة، ما أدهش هليل، وعند مكان يعرفه قرب دائرة الجوازات، سمعت الفنانة تحت أحد الابنية ثمة انين مبك لرجال يعانون في السجن تحت الارض، قال لها يمكن هذه بناية الحاكمية، المكان الخاص بتعذيب السياسيين، بكت الفنانة، فأنطلق الحصان الطائر الى الاعلى، كانت الفنانة تنشج بحق على مصير اولئك الرجال مما آثار فيها التوتر.

حلق الحصان بعيدا في الفضاء، ثم أخذ دورة صغيرة على القصر الجمهوري، كانت ثمة طيور بنفسجية، وردية، وزرق وحمر تسبح في بحيرات عديدة، ثمة اشجار عجيبة لم ير مثلها هليل في حياته قط، انتهت فرة الحصان، وبدأ يصعد الى الفضاء وأخذ يطوي المسافات باتجاه الجنوب، حتى وصلا الى

الكويت، كانت ارتال القوات العراقية تتلقى الضربات الصاروخية الموجعة وهي تنسحب من المدينة باتجاه البصرة.

طر الفجر ، والطيران المعادي مازال يوجه ضرباته الى القوات العراقية، تتطاير الجثث من المدرعات وحاملات الاشخاص والدبابات، ولما وصل هليل والفنانة الى مكان معين، هبط الحصان في منتصف شارع الموت بين الكويت والبصرة، وقفا الى جانب سيارة حاملة للأشخاص كانت آثار الشظايا مغروزة في صدور ووجوه الجنود، الجثث ملقاة على جانبي العجلة، نظر هليل الى نفسه، وهو ملقى مثل الجنود المتفحمين على الارض المحروقة، بكى هليل على مصيره الأسود، وبكت معه الفنانة، ثم امتطيا الحصان وعادا الى الطيران، حتى جن الليل عليهما ثانية، بعدها هبط الحصان في المكان نفسه حيث موضع هليل وزملائه، دخل عليهم وهو يرتجف.

ودعته الفنانة بقبله على خده وقالت له " باي "، فقال لها عمي والله أندهرنا هي مال "باي ". وفي الليلة التالية، جاءت الفنانة بالحصان، وأيقظت هليل، هل تحب أن ترى مصير قائدكم هذه الليلة، فقال لها فرحا " ياليت"، صعد خلفها، توتر ثانية وهو يحتضن الجسد المثير، طار بهما الحصان، واتجه الى البراري خارج مدينة تكريت، وقبل هبوطهما ، قالت له، هنا يرقد القائد في هذه الحفرة، بقي الحصان يحوم حول الحفرة، وصاح هليل باعلى صوته " سيدي .. سيدي"، وحتى لا تنكشف لعبتهما، همست الفنانة بأذن الحصان بضع كلمات ثم حلق، طائرا مثل النسر في براري الفضاء الاسود وأخذ هليل يغني ويهز كتفيه تاركا خصر الفنانة الذي كان يتمسك به قبل قليل " سيدي اشكد أنت رائع سيدي.. سيدي ".

مونيكا.. وهليل

عثر هليل على رسالة قديمة في طيات ملابس زوجته، كان يبحث عن علبة سجائر خبأها منذ شهر حين قرر الإقلاع عن التدخين، لمعرفته بضعف أرادته، نبش دولاب الملابس قطعة قطعة، وبدلا من العثور على علبة السجائر، وجد رسالة مطوية بعناية، أستلها، وبدأ قلبه يضطرب وتتسارع نبضاته.

أستغل هليل وجود زوجته في الحمام لتغسل بقايا آثار ممارسة حب تمت بينهما قبل ساعة بعد عودته من الدوام، بدأ يقرأ الرسالة.. ليس هناك اسم في بداية الرسالة ، لا توقيع في آخرها ، قرأ ما يلي : انا مثلك أعشق بابلو نيرودا، لأنه يعرف ما الحب ، نحن النساء لدينا قدرة جيدة في معرفة الرجال الذين يمتلكون مساحة هائلة من الحب ، زوجك أنسان بسيط وفقير الروح ، لا تلقي اللوم عليه لأنه يحب مونيكا بيلوتشي، ولما ينام معك يسدد عينيه الى صورتها، زوجي يفعل مثله، ولكن مع عارضة ازياء اسمها سلوى، على الاقل مونيكا أجمل من سلوى مئات المرات، المهم أن ديكك لا يهرب من القن، هو معك حتى لو كانت عيناه الى مونيكا، لكن عيني ديكي يصوبها الى سلوى القبيحة، علمت مؤخرا أن سلوى تعمل معه في الدائرة نفسها التي يعمل فيها زوجك، أخبرني بذلك زوجي، أتركي بابلو نيرودا وتفرغي الى حياتك بعيدا عن الكتب، تحياتي".

خبأ هليل الرسالة في جيب قميصه، وذهب الى غرفة النوم، خلع صورة مونيكا من مسند سريره القريب من الوسادة، طواها، ثم وضعها مع الرسالة في جيبه، وفكر، " ترى من هو صديقي في العمل الذي يسرب خفاياه الى زوجته ومن ثم الى زوجتي"؟

لديه صديقان حميمان جدا في الدائرة، أحدهما يضع عمامة يصلي داخل الدائرة ويصوم اياما في غير رمضان يسميها صيام الدهر ثلاثة ايام من الايام البيض، وصديقه الآخر يشرب الخمرة، لا يعرف إي من منهما يمكن أن يبوح بإسرار الحياة الوظيفية الى زوجته؟ لكنهما في إنشغال مستمر، كل واحد في عالمه، لكنني سأعرفه من خلال سلوى رئيسة قسم الاضابير الذاتية، رئيستنا.

يستغرب هليل كيف يمكن لأنسان في هذا العالم، يمكنه أن يطيق رؤية وجه سلوى حتى يتخيلها في الفراش مع زوجته؟ أظن صاحبة الرسالة التي هي صديقة زوجتي تشير الى رمز معين قد لا تكون هي سلوى بذاتها بل تقصد آخرى اكثر شبابا وفتنة، غير ان نصيحتها بترك الكتب والتفرغ الى حياتها نصيحة في محلها، فلقد عانى هليل من برود زوجته المثقفة التي تقرأ الكتب وهي على فراش الزوجية، ولديها الحياة عبارة أما اسود أو ابيض، الاشد استغرابا انها لا تمانع من وضع هليل صورة مونيكا على مسند السرير قبالة عينيه ، مرات تمازحه " الا تملها"، من دون أن ترفعها طبعا، لأنها تعلم أن زوجها سيكون شديد الفاعلية دائما بوجود مونيكا خلف رأسها.

وسبب اهتمام هليل بمونيكا يعود الى فيلم "مونيلا " الذي شاهده اكثر من عشرين مرة، في الحقيقة يشاهد اللقطات الخاصة بصبي الدراجة وهو يحتضن مونيكا في لحظة حلمية، خارج واقعه، وكثيرا ما تخيل نفسه صبي الفيلم، يحلم

أحلامه، بالرغم من أن عمره تجاوز الخمسين، تحاكي تخيلاته مع مونيكا في جسد أحلام زوجته، التي تقرأ كتب الادب والرواية كثيرا، لكنها في الآونة الاخيرة ، تعلقت بالشاعر بابلو نيرودا، واشترت " غزليات نيرودا " ترجمة ماهر البطوطي، أشترته من بائع في شارع المتنبي أسمه حسين الصعلوك، بعد أن قرأت أول صفحة منه حيث يقول الشاعر (أيتها الوردة ، يا وريدة ، تبدين أحيانا دقيقة عارية، كأن إحدى يدي تسعك، وأنني سوف أضمك، وأرفعك الى فمي ، ولكن فجأة، تلمس قدماي قدميك، عندئذ تكبرين، ويتطاول كتفاك كأنهما ربوتان ويرتفع نهداك فوق صدري، ويكاد ذراعي، لا يحيط ببدر خصرك النحيل، لقد أطلقت سراح نفسك في أغمار الحب، كأنها المياه المنسابة، فلا أكاد أقيس عينيك الأكثر رحابة من السماء، وأنحني على ثغرك، لأمنح قبلة الى الارض)، ووضعت زوجته الكتاب في حقيبتها كأنها عثرت على كنز، إذ أنها منذ أن تزوجت هليل، فارقت عالم الكتب، وهي الطالبة المجتهدة في كلية الآداب التي حصلت على شهادة البكالوريوس أثناء توقف الحرب العراقية الايرانية سنة ١٩٨٨، وتزوجت بعد عامين من جيرانهم هليل الذي كان يحبها منذ أن كانت في الإعدادية، لكنها لم تمنحه إية فرصة لتبادله الحب، لكنها كانت سعيدة أن رجلا من هذا العالم يهتم بها ويحبها، يراقبها، في رواحا وغدوها، ولم يعجبها اي طالب في الكلية طوال الاربع سنوات.

تم زفافها في اليوم نفسه التي دخلت فيه قوات الحرس الجمهوري أرض الكويت، وبعد يومين ألتحق هليل مع مواليد ١٩٦٠ الى معسكرات التدريب، ليزج فيما بعد في لواء مشاة على تخوم الحدود الكويتية السعودية،

في أرض صحراوية قاحلة، تعبث بها الرياح طوال النهار، فيختلط الطعام الشحيح مع الغبار.

كانت زوجته أحلام تسخر من حياتها، أمام صديقاتها " شايفين شهر عسل يومين"، ولما انتهت الحرب الاميركية، بمجزرة عاصفة الصحراء المعروفة التي قادها شوازكوف، خرج منها هليل سالما بأعجوبة، بعد أن تكدست الجثث في شارع الموت بين الكويت والبصرة، وبقي عاطلا عن العمل ثلاثة أشهر، حتى قام أبن خالته، الرفيق الحزبي، بتعيينه في إحدى دوائر وزارة التجارة، شعبة الاضابير الذاتية، رئيسة القسم امرأة أسمها سلوى، يعمل معه في الشعبة زميلان هما فليح مدمن الخمرة، وصيهود المتدين.

وقع اختياره على فليح، فهو متزوج من امرأة يقول عنها تشبه البومة، ذات يوم جاء هو وزوجته الى بيتهم وتعرفت زوجة فليح على أحلام، وربما عقدت صداقة بين المرأتين.

في اليوم التالي، أخذ هليل الرسالة معه الى الدوام، وهناك سأل زميله فليح، بإمر بدا للأخير مريبا وغير مريح، سأله أن كانت زوجته، ترسل برسائل الى أحلام، وقال له إنك تضع صورة سلوى حين تنام معها كما تقول الرسالة، فضحك فليح ضحكة استفزت سلوى والزميل الاخر صيهود، ثم قال له، سأخبرك سراً وأرجو الا تفضحه، في يوم كنت أنت بإجازة، قبل نهاية الدوام صفعت سلوى صيهود صفعة مدوية وقالت له " انجب يا عار"، ثم قال له فليح "بعد أنت بكيفك".

قصيدة هليل

وجد هليل نفسه وقد أصبح رئيسا للقسم الثقافي في إحدى الصحف المحلية، ولما جاء إليه شاب نحيل يحمل قصيدة عن القائد، طلب هليل من الشاب، أن يجلس أمامه حتى يقرأها ويبت بصلاحيتها، أنزعج هليل من المديح الزائف الذي اغدقه الشاب على شخصية القائد، أنت الشمس وأنت القمر مع أخطاء لغوية فادحة..

نهض هليل وسلم القصيدة الى الشاب ثم طلب منه أن يمزقها ويذهب الى أقرب مكتبة يشتري ديوان المتنبي ويقرأه عشر مرات قبل أن يكتب إي قصيدة، لكن الشاب بدلا من الذهاب الى شارع السعدون لشراء الديوان ذهب الى وزارة الاعلام، والى مكتب الوزير بالذات..

في اليوم التالي، دخل شابان أنيقان، يرتديان بدلتين بلون رصاصي الى غرفة هليل في الجريدة، فسأله أحدهما " أنت هليل؟! " نعم" قالها بخوف وبلادة، فقال الآخر " تفضل معنا ".. ألتفت هليل الى الجدران يمينا وشمالا، لا أحد سواه في الغرفة، لا أحد أسمه هليل في الجريدة كلها، نهض عن كرسيه وسار بينهما بخطى ثقيلة.

كان يتمنى ألا يراه أحد من الزملاء، خصوصا نوال، الفتاة الأنيقة الجميلة التي تأتي إليه كل يوم قبل ساعة من نهاية الدوام تبادله الضحكات والنقاش الجاد في المواد التي ينشرها وتستمع الى قصائده التي لا يحبذ نشرها، تحلق بخيالها في الآراء الفلسفية التي يقولها في الحياة والناس والسياسة والفن والموت،

تشعر بسعادة بالغة وهي تستمع الى صوته العميق، الذي طالما، كانت نبراته الواثقة، تنسيها إي فكرة تدور في بالها لمواصلة النقاش معه. ولما خرج هليل بين الأنيقين كانت هي الوحيدة التي لمحته، يمسكان به من ذراعيه باتجاه باب الخروج.

وعندما وصلوا الى بناية الامن العامة، أدخل هليل الى أحدى الغرف، حيث يجلس رجل في الاربعين من عمره ممتلئ لديه كفان عريضتان، يرتدي بدلة رصاصية أيضا، متجهم الوجه ينظر الى أوراق ملف أمامه على المنضدة، وبحركة من حاجبيه، أنصرف الانيقان بعد أن ضربا الارض بأحذيتهما، نهض الاربعيني بهدوء شديد، ولما أقترب من هليل، صفعه على خده الايسر صفعة قوية اوقعته أرضا، نهض هليل وهو يقول في نفسه " انفلكنا" ، بعد دقيقة عندما أستعاد توازنه شعر أن حدسه لا يخطئ في أن ما يجري له الان، بسبب الشاب النحيل شاعر قصيدة " المسيرة الظافرة " الذي رفض نشرها يوم أمس، نهض هليل واضعا يده اليسرى على خده، سأله الضابط الكبير " هل تعلم لماذا انت هنا اليوم ؟ " أجاب بخوف " ترفشانيا " صاح الضابط " شنو " ردد وهو يرتجف " لا أدري سيدي، أنتم تعلمون لم أنا هنا " اراد أن يقول له بسبب القصيدة، لكنه خاف من الصفعة الثانية، فقال الضابط " انت هنا لإنك ماسوبي حقير" قال هليل في نفسه " انعدمنا والله " !!

بعد أربع ساعات، من الاستجواب والتحقيق، والصفعات المدوية، أكتشف الضابط، أن الشخص الذي أمامه مسكين بسيط يمتلك معرفة وعلم غزير أثارت أعجابه وأثار دهشته في عدد من الاجابات. فقال الضابط " هل تستطيع أن تكتب قصيدة الان عن القائد المحبوب "؟

شعر هليل إنه نجح في إقناع الضابط بادعائه أن البعض لا يعرف كيف يكتب عن منزلة القائد الرفيعة كمنقذ للامة، والقصيدة التي رفضها هي أساءة بالغة الى شخصه، بدليل أن صاحبها الشاعر كتب عنوان قصيدته المسيرة الظافرة بالصاد " الضافرة " وهذا خطأ املائي كارثي، فضلا عن تشويه الذات الآلهية عندما قال الشاعر للبارئ عز وجل " لا نريد شمسك أن تشرق علينا مادام قائدنا هو الشمس ".. هذه العبارة التي قالها هليل، جعلت خواطر الأعجاب تعصف في عقل الضابط لاحتقاره الشديد للشعراء، كونهم أكثر الناس كذبا على القائد.

جلبوا كرسيا وأوراقا وقلما ووضعوها أمام هليل، قال الضابط بأريحية بالغة " هيا أكتب قصيدة عن القائد " وبالرغم من الضيق النفسي الذي يمر به، أنفتحت قريحته وكتب، خلال ربع ساعة، قصيدة عصماء قرأها على الضابط.

دس الضابط القصيدة بين أوراقه وذهب الى البيت، بينما وضع هليل في الحجز الانفرادي، طلب من ضباطه الصغار عدم تعذيبه بل أمرهم الاهتمام.

أستقبلت زوجة الضابط الجميلة زوجها، ووجدته لأول مرة يدخل البيت وجهه باشا ضاحكا، قرصها من خدها وحضنها من الخلف فقالت " شنو القصة اليوم " فقال لها " أنت شاعرة كبيرة، بل عظيمة أعظم من كل الشعراء، سأرسل قصيدتك الى الجريدة، ".

لم تفهم زوجته ما الذي يجري، لكن الضابط عند مائدة الغداء وضح لها كل شيء، وقال لها، "حتى رسالتك للحصول على الدكتوراه يمكن أن يساعدنا

بها " فرحت الزوجة، وارتدت بعد الغداء ملابس أكثر اغراء، مارس الحب معها على الاريكة وهو يحلم بمكرمة القائد السخية.

بعد يومين، نشرت القصيدة، وأطلع عليها القائد، وهمش على الجريدة " تقابلني الشاعرة " ذهبت زوجة الضابط الى القصر الجمهوري، وهناك بعد أن تمت المقابلة خرجت من القصر بحصولها على سيارة مرسيدس وبيت وخمسة ملايين دينار.

كادت تفر روح الضابط من بين جنبيه، وهو يستقبل خبر مكرمة القائد السخية لزوجته، وفي اليوم التالي، عندما ذهب الى دائرته، قبل هليل من خديه المتورمتين بالصفعات ونسي " الرزانة والصرامة المطلوبة " هكذا تضاحك مع السجين المسكين، قال الضابط ودموع الفرح تطفر من عينيه، " سآخذك الى البيت، ملفك سأغلقه، يجب أن تمضي وقتا معنا في البيت كي تكتب رسالة زوجتي للحصول على الدكتوراه في الادب العباسي " لم يصدق هليل ما يجري له فقال جملته " سرفتاش " صاح الضابط " شنو " .

أخرج هليل من الحبس الانفرادي، وصعد سيارة الضابط واتجه به الى بيته، استقبلته زوجته أحسن استقبال وهو ينظر الى البلاط المرمري، لا يريد أن ينظر الى وجه الزوجة الجميلة، التي عبرت تسريحة شعرها ووقوفها باسترخاء وميلان رأسها على جنبها الايمن، وابتسامة ساحرة، عن غنج وميوعة واضحة.

أطلّع هليل على أوراق رسالتها ، فوجد اخطاء في النحو والاملاء وطريقة تقديم وتأخير بفصول الاطروحة، أنهمك بحدود سبع ساعات في التصحيح والكتابة، وكانت الزوجة كلما غاب زوجها عن الصالة تنفرد به لتجلس بجانبه

تلصق فخذها بفخذه وتسأله العديد من الاسئلة، ذلك لأنها أحبت صوته وهو يتحدث معها، وكان لعابها يسيل كلما شرع في الحديث، حتى دب الارهاق والتعب في مفاصله وذهنه، تناول العشاء معهما، أوصل الضابط هليل الى بيته، وفي اليوم التالي جلبه بعد الدوام ليمضي بحدود سبع او ثمان ساعات، بقي الحال هكذا طوال شهر حتى اكتملت الرسالة، تبرع هليل بإرسالها الى باب المعظم لتطبع عند صديقه الشاعر الشعبي المعروف .

نالت زوجة الضابط درجة الدكتوراه ثم عاد هليل الى وظيفته، رئيسا للقسم الثقافي في الجريدة، معززا مكرما، ولما جاء الشاعر النحيل ثانية وبيده قصيدة جديدة، قرأها هليل وفي كل بيت يصيح الله الله، ما هذا الجمال، لكنه صحح له بعض الاخطاء ونشرها له، وعاش هليل عيشة سعيدة.

الصياد

لمحتُ يد الشقراء عن بعدٍ وهي تلوح لزوجها الجالس بجانبي، كانت تنشف شعرها بحركات يديها، بعد خروجها من البحر. أحزنني استلقاء الرجل ولا أباليته أزاء دعوات زوجته المستميتة لينهض من كسله. سبب حزني أن زوجته شابة جميلة، تبدو إنها تريد أفهام آخرين كانوا يبحلقون بجسدها، كأنها تحاول ردعهم بالكف عن ملاحقتها مادام لديها رجل يجلس على كرسي هناك وسط الرمال. لا أعرف كيف تحول اهتمامي من بين كل نساء البحر العاريات الى هذه الفاتنة. يبدو عمر زوجها بالأربعين وتبدو هي في الثلاثين. فكرت قد لا يكونا على وفاق تام، بدليل نزولها الى البحر بالبكيني لوحدها، وإنه قد لا يعرف السباحة، ففضل البقاء جالسا بجانبي، مانعا أحراج نفسه أمام سباحين أفذاذ يخبطون في المياه الزرقاء كالدلافين. مازالت تلوّح له من بعيد واقفة وهو غير مبال. أي رجل سفيه هذا الذي تطلبه زوجته الاقتراب منها فيرفض؟ كان يتصفح مجلة ملونة وينظر بين الحين والآخر الى جهة اليمين بحثا عن شيء ما، ويسترق النظر الى زوجته التي أعياها جهدها في أن يلبي دعوتها. أثار انتباهي رجل آخر، كان يجلس على مبعدة أمتار يتابع زوجة صاحبي الكسول. قلت في نفسي " لعل العقدة هنا ".. لا أعرف إية مشاعر انتابتني وأنا أنظر الى الرجل الآخر يبحلق الى المرأة ذات البكيني الأزرق.

ولما فقدت المرأة الأمل في نهوض زوجها، أدارت ظهرها جهة البحر واتجهت تمشي الى أمواجه الهادرة. نهض الرجل الآخر يسير متثاقلا صوب البحر. كان الزوج الجالس بجانبي لازال مستغرقا في القراءة. غطست الفاتنة في البحر ولم أر سوى شعرها الأشقر يطفو فوق المياه.

مازال صاحبي يقرأ وهو غير مهتم لما يجري في البحر. أخذ الرجل الآخر يسير ببطء حتى وصل الى حافة البحر ثم اخذت تغطس قدماه شيئا فشيئا في المياه، بعدها بدأ يلبط سابحا باتجاه المرأة زوجة الكسول. من الواضح أن رأس الرجل كان يتجه الى المكان الذي توقفت فيه الشقراء، ولما تقابل الرأسان، لاحظت استغراق صاحبي بقراءة المجلة، مرت دقائق وبدأ يتثاءب فوضع رأسه على مسند الكرسي وغطى وجهه بالمجلة.

في البحر أقترب رأس الرجل من شعر الشقراء، لا أدري هل تحدث معها، سرعان ما انزلقا سوية تحت سطح المياه، اختفيا عن ناظري تماما، بعد برهة طفح رأس الشقراء، وبعد ثوان قليلة طفح رأس الرجل الآخر.. ثم ابتعدا يسبحان باتجاه براميل كانت موضوعة على بعد أمتار لمنع السباحين من عبور هذا الحاجز. وهناك خلف البراميل اختفيا ثانية. يغط زوجها بالنوم والمجلة على وجهه. لم أر ما يجري خلف البراميل.

بعد مدة من الزمن عادت المرأة ذات الشعر الأشقر الى الشاطئ لاحظت أجهادا وتعبا باديا على مشيتها.

فيما اختفى الرجل الآخر عن ناظري، بقيت أتابع المرأة وهي تترنح في مشيتها، وصلت ألينا، كشفت ابتسامتها عن سعادة زائفة كانت تحاول أظهراها وهي تقف عند قدمي زوجها.

ضربته بقدمها اليمنى الحافية " هل نمت عزيزي؟ " .. أزاح المجلة عن وجهه، ثم نهض مبتسما، مسكته من ذراعه واتجها صوب بوابة الفندق الذي يقع خلفنا. كان الرجل يبدو سعيدا وهو يضع ذراعه حول خصر زوجته. دخلا الفندق واختفيا عن أنظاري، فيما عاد الرجل الآخر الى مكانه يراقب النساء.

هليل في دائرة حكومية

دخل هليل الى دائرة حكومية لغرض التعيين، صدمه منظر عجوز شمطاء تقف في وسط صالة الاستعلامات تسدد كلماتها النابية المتحجرة الى أحد الموظفين. في جيب قميصه البنفسجي ورقة صغيرة هي عبارة عن واسطة التعيين كتبها له قريب معمم الى مدير عام هذه الدائرة.

وقبل أن يدخل الى الدائرة صاحت عليه العجوز التي ترتدي تنورة قصيرة " وين رايح انت " ألتفت هليل الى صاحبة الصوت وشعر بالرعب، كان صوتها عبارة عن عاصفة من السعال والحشرجات والحقد الاسود، لم ينظر الى وجهها بل الى الفراغ بين نهاية تنورتها القصيرة وأرضية الصالة، أكتشف إنها تسير بلا ساقين وقدمين، اراد أن يضحك، لكنه مسك زمام نفسه، خشية طرده في اول يوم يدخل فيه الى الدائرة.

بقي هليل واقفا في مكانه لا يعرف ماذا يقول، ولما انتهت نوبة سعال العجوز الشمطاء قال لها وهو ينظر الى الفراغ بين الارض وحافة تنورتها الجوزية " اريد مقابلة المدير العام "، وفي الاثناء لم يهتد هليل الى حل لمعرفة مصير اختفاء ساقي العجوز، فرك عينيه وفتحهما من دون فائدة، قالت له، أدخل الى اول غرفة على يمينك.

صدمة الفراغ تحت تنورة العجوز، كيف أمكن لأنسان أن يسير بلا قدمين، بقي يفكر وهو جالس في هذه الغرفة حسب اوامر الشمطاء، حتى جاء اليه

شاب معمم يرتدي بدلة بنفسجية ورباط اسود، عيناه صغيرتان وأنفه مفلطح لكنه بلا فم فسأله " أتريد مقابلة المدير العام؟ "

ذعر هليل من الشاب، من أين أخرج صوته؟ نهض وجلس، ثم عاد لينهض، تمعن هليل بوجه الشاب، كان فعلا بدون فم، وبارتباك قال له " نعم اريد مقابلة المدير العام " .

سار أمامه الشاب ودخل في ممرات الدائرة العديدة، ممرات عبارة عن شبكة حلزونية وفي كل ممر ثمة لون آخر يختلف عن سواه، احمر وبنفسجي واصفر حتى وصلا الى نهاية ممر تنبعث منه موسيقى.

فتح الشاب بابا يؤدي الى غرفة فوجئ هليل انها طويلة ولا اثر للمدير، قال له، تفضل هذه غرفة المدير العام، سار مسافة طويلة الى نهاية الغرفة، سار بحدود عشر دقائق حتى وصل الى نهاية الغرفة حيث وجد مكتبا من خشب الابنوس صقيل عليه زجاجة طويلة، وشاهد كرسيا ولكنه لم ير اي شخص يجلس عليه.

التفت الى ناحية الباب فلم يجد احدا خلفه، بحث هليل عن المدير العام، حتى وجد انسانا ضئيلا معمما حجمه يشبه الفأرة، جالسا على الكرسي وبيده مسبحة ويتمتم بتعاويذ، اخرج هليل ورقة الواسطة من جيب قميصه واعطاها الى المدير الفأر، ولما بدأ يقرأها المدير، كانت قد غطت كل وجهه، وبعد القراءة، رمى الورقة على سطح المكتب وكتب شيئا عليها، وقال له، " يتدلل الحجي، انصرف الى شعبة الذاتية وخذ معك الورقة هذه، الان لدي اجتماع مع كادر الدائرة ".

وقبل أن يخرج هليل من غرفة المدير العام، دخل رجال ونساء الى الغرفة، كانوا بحجم المدير العام، عبارة عن فئران تسير على اقدام بشرية، شعر هليل بالرعب والذهول من مرآى هذه الكائنات البشرية الضئيلة، أدرك انه لابد أنه في المكان الخطأ، قال في نفسه، "لن أغادر غرفة المدير العام حتى أعرف ما الذي يجري هنا".

توارى خلف ستارة خشبية بقرب الباب، جلس الموظفون الفئران الى طاولة بجانب مكتب المدير العام وقال لهم، نبدأ اجتماعنا اليوم بالبحث عن أهمية دخولنا الى المراحيض، هل نبدأه بالقدم اليسرى أم اليمنى، فقال أحد الموظفين، أظن يا سيدي ندخل باليسرى، صاح المدير العام، لا تسير حياتنا حسب الظنون إيها الجاهل؟ قالت امرأة بصوت ناعس يشبه نقيق الضفادع" استاذ ندخل باليمنى " فصاح عليها " كيف عرفت ذلك؟ ما هي حجتك؟ "، فقال معمم ثالث " ندخل على الاربع " نهض المدير العام وزعق به " هل تسخر منا يا هذا؟ " .. بقي هليل يصغي الى الاجتماع وقد وصل حدا من الهستيريا وعدم الاتفاق الى قيام المدير العام برمي عمائم المجتمعين من رؤوسهم ويطوح بها في فضاء الغرفة، كلكم لا تفهمون، جميعكم جهلة.

بعدها دخلت العجوز الشمطاء الى صالة الاجتماع، ووقفت بجانب المدير العام، وقالت اسفة عن التأخير استاذ، فقال المدير العام، ندخل الى المراحيض مثلما تفعل هذه الموظفة المثابرة وأشار الى العجوز.

أراد هليل أن يتدخل لفض المشكلة التي وصلت الى طريق مسدود، حيث بدأ المدير يرمي عليهم أحذية كدسها تحت مكتبه لهذا الغرض.

فقال لهم هليل بعد نفاد الاحذية من تحت مكتب المدير العام، " أعتقد انه يجب عدم الدخول، والافضل أن يعملها صاحب الحاجة على نفسه".

قال ذلك وخرج هاربا من غرفة المدير العام، ثم خارجا من البناية التي تحيطها أبنية خضراء، ثم عبر جسر الجمهورية راكضا وأخذ يمزق ورقة التعيين الواسطة، نثر ورقها الممزق في النفق بين شارع السعدون والجمهورية. وفعل بقميصه البنفسجي ومزقه ورمى به على المكتبات في بداية شارع السعدون وسار عاري الصدر باتجاه الزحام البشري.

طلسم

أيقظتني زوجتي بعنوة ، لاحظت على وجهها ، ثمة غيوم مضطربة تكاد ترعد، قالت " أستيقظ فورا ، هناك امرأة على الباب تريدك " فزعتُ ، نهضتُ بسرعة ، بحثتُ في الغرفة عن شيء يسترني ، فالتقطت بيجامتي المرمية على جانب السرير ، ذهبت الى باب الشقة ، كانت المرأة واقفة في الباحة ، تبدو في الاربعين من العمر ، جميلة بيضاء الوجه ، تضع على رأسها خمارا أحمر مزخرفا بورود سود ، ترتدي ثوبا وردي بخطوط صفر يلتصق على جسدها الممتلئ ، لما رأتني المرأة ابتسمت، ثم دخلت الى الصالة تسبقني ، نظرتُ الى زوجتي ، كانت الغيوم ماتزال ترعد على وجهها ، ثمة غضب في عينيها ، لا أعرف متى ستندلع كوارث غيرتها . جلست المرأة على الاريكة بجانب التلفاز، ووضعت ساقا فوق الاخرى، بقيت أنظر إليها واقفاً وسط الصالة، كانت زوجتي خلفي لا أعرف مشاعرها في هذه اللحظة، تصورتها، تحمل " طاوة " ستضربني بها بمجرد أن تشك بإمر ما، لكنني ، أعول على كياستها وحكمتها ، فهي لا تبدأ الهجوم الا إذا توصلت الى أدلة وبراهين ، لا أعرف هذه المرأة المثيرة الجالسة الآن في صالتنا ، ولما طال الصمت أكثر مما يجب قالت " أريدك أن تحلّ مشكلتي مع زوجي ، قالوا إنك ماتزال تكتب أدعية وطلاسم تحل بها المشكلات بين الازواج " .. ألتفت الى زوجتي، فوجدتها قد اختفت، يظهر إنها ذهبت الى المطبخ لتعد الشاي للضيفة. قلت " وما هي مشكلتك مع زوجك؟" .. جلست بجانبها وأنا أنظر الى عينيها

العسليتين، لمحت زوجتي كانت تراقبنا بحياد وهي في المطبخ تسكب الشاي في الاكواب، قالت " زوجي يستيقظ بعد منتصف الليل ثم يختفي ساعة او ساعتين في الصالة لا أعرف ماذا يفعل ثم يعود الى الفراش يغني " زي الهوا لعبد الحليم " قلت " وماذا في ذلك؟ ربما الارق يمنعه من النوم، ألم تتلصصي عليه لتعرفي ماذا يفعل؟ هل يحمل معه الموبايل خاصته؟" قالت " هذا ما يحيّرني ويزيدني رعبا من أمره، إنه يترك هاتفه على منضدة السرير "، سألتها " لكن أين المشكلة؟ قالت بتذمر " إنه يعود الى الفراش يغني زي الهوا، المشكلة إنه يغني، لماذا يغني؟ " . أردت أن أضحك، لكن منعني خوفي من زوجتي لئلا تتصور أن الامر خرج عن نطاق سيطرتها، سألتها " وما المطلوب مني القيام به لأجلك؟" قالت بارتياح بالغ " أريدك أن تكتب لي طلسم يمنعه من الغناء والابتعاد عني بعد منتصف الليل " ، جلبت زوجتي ثلاثة أكواب من الشاي، وجلست بجانبي ، ألتفت إليها ونظرت الى عينيها كي تساعدني في العثور على حل لمشكلة هذه المرأة قلت لزوجتي وأنا أزدرد لعابي " تريد هذه السيدة أن تمنع زوجها من الغناء والنهوض بعد منتصف الليل لوحده مدة ساعة او ساعتين ، هذه هي مشكلتها " هزت زوجتي كتفيها دلالة على عدم قدرتها معرفة حاجة المرأة، فضلا عن غموض طلبها ، قالت المرأة ،" قبل سنتين كانت أختي تسكن معنا هي وزوجها ، زوجها أنسان بخيل ، جاءت إليك وحدها، فكتبت لها طلسم ، أختي كانت تحب شابا ، أستطاع ان يقنعها بالهرب من زوجها البخيل ونجحا في عبور بحر ايجه الى جزر اليونان ، تركت زوجها ، وهو الان يذرع الشوارع لا يعرف الناس ماذا حل به ، ولا يستطيع ان يعود الى العراق وأختي قبلت فيما بعد كلاجئة في النمسا مع الشاب

الذي كانت تحبه، وتعيش الآن حياة سعيدة " . غضبت لأجل الزوج " فقلت لها " كيف أمكنها أن تعيش مع رجل آخر وهي على ذمة زوجها؟ " أحسست أن زوجتي قرصتني على فخذي، ألتفت إليها بسرعة، وعدت أنظر الى المرأة حائرا، ثم سألتها " هل تريدين أن أكتب لك طلسم كي تهجري زوجك ؟ فقالت " كلا، أريدك أن تكشف لي عن سبب تركه فراشي بعد منتصف الليل ثم يعود إليه يغني " أكملت انا عبارتها " زي الهوا ". قرصتني مرة ثانية " ألتفت الى زوجتي " نعم عزيزتي ماذا تريدين؟ " قالت " أشرب شايك لا يبرد "، أخذت رشفة منه وأنا أفكر كيف أجد حلا لمشكلة هذه المرأة، قلت لها " الحياة فيها كل شيء، أجمل ما فيها إنها حياة غامضة لا نعرف سببا لما يحصل لكل شيء، فما الضير في أن يغني الإنسان؟ ثم بعد صمت قصير، وجدتني عاجزاً عن إيجاد الحل، قلت لها " أنا آسف لا أستطيع فعل إي شيء لك ". لم تشرب المرأة شايها، نهضت غاضبة، وقالت مع السلامة.

بعد أسبوعين، التقيت المرأة نفسها، بخمارها الاحمر، في سوق الخميس، كانت تبدو مغتبطة وسعيدة، تغني لوحدها وهي تقلب ثمار الفاكهة أمام البائع الذي كان مبتهجا بها، همست من خلفها " كيف هي أحوال زوجك؟"

ألتفتت مذعورة، حتى أن البائع التركي أندهش وغضب، ظن إنني أتحرش بها، نظرت اليّ وهي ما تزال تدندن بأغنية زي الهوا، لكنها بمجرد أن رأتني كانت ابتسامتها التي تبادلها البائع قد اختفت ، وتغيّرت مشاعر الاغتباط على وجهها الابيض المدور وقطبت حاجبيها، ثم قالت باكية " تركني وذهب الى

اليونان مع شابة صغيرة ، أنت خذلتني لم تكتب لي طلسم كي أحتفظ به "
ثم ألتفت الى البائع وأخذت تغني له زي الهوا وهي تضاحكه.

الغيرة

ها هو يتبعها وهي تقود سيارتها ، ترتعش أصابعه على مقود سيارته، ينظر الى تسريحة شعرها ، لقد خرجت من الشقة بتسريحة ذيل الحصان ، لا يدري متى غيرتها بهذه السرعة ، ينساب الآن شعرها الذهبي على كتفيها، يعرف إنها نادرا ما تنظر الى المرآة الامامية، وبالتالي لن تتمكن من معرفة تفاصيل صغيرة في السيارات التي تسير خلفها، لكنه بالرغم من تأكده من ذلك يتخفى خلف سيارات كثيرة يزدحم بها الشارع ، قلبه يخفق بسرعة ، نزع ربطة عنقه .

تعرف إنه لا يخرج الا مع الربطة والبدلة حتى في عز الصيف التركي، نزع السترة ووضعها على الكرسي الخلفي ، صار من الصعب عليها اكتشافها متابعته لها ، اليوم بالذات سيكتشف ، هكذا كان يقول لنفسه ، وقلبه يخفق بشدة ، سر اهتمامها الزائد عن حده ، بالمصمم الجديد للأزياء الذي يعمل في ورشة الخياطة الصغيرة.

كانت زوجته قد طردت قبل اسبوع المصممة زاعمه إنها تسببت بخسارة كبيرة، حين أتلفت سبعين مترا من القماش النادر ، تم تدارك الخسارة بسرعة أو في الحقيقة هي التي استطاعت بدبلوماسيتها انقاذ المعمل من تلك الخسارة حين أقنعت مدير شركة النسيج تعويضهم عن تلف القماش تحت المقص الاوتوماتيكي ، وكانت لما عادت من شركة النسيج أبلغت زوجها بان مدير المعمل اقترح عليها مصمما جديدا ، " لم ألتق به في اليومين الذي باشر به

عمله ، ولكنني في اليوم الثالث لاحظت اهتمامها الزائد بملابسها، وطريقة رش العطر على وجهها وتحت ابطيها فضلا عن اعتنائها بإناقتها " .

كان يراقب زوجته، قبل خروجها الى المعمل، وهي تجلس الى منضدة الزينة تغير تسريحتها بين لحظة وآخرى. منذ عشرين سنة وهو يعرف أدق تفاصيل سلوكها، لا يتورد خداها في الصباح، لكنها منذ يومين، رأى على وجنتيها احمرارا، مما يؤكد له انها في حالة نفسية مختلفة، عشرون عاما مضت لم ير توردا على خديها مثلما رآها في اليومين الماضيين.

مازال يسير خلفها حتى انعطفت الى فرع يؤدي الى ساحة صغيرة ، يعرف تماما خارطة هذه الشوارع ، فهي حتما ستعود الى الشارع نفسه الذي يسير فيه الان ، لذلك ابطأ في سيره وانتظر خروجها الى مسار الشارع الفرعي الآخر ، أوقف سيارته قبل مئة متر من مدخله ، يعلم انها لن تستطيع الذهاب أبعد من هذا الشارع ، ذلك لان المعمل في هذا الاتجاه الذي يسير فيه ، وما فعلته الا مناورة غبية لتعرف من يسير خلفها .

بقي واقفا يراقب مدخل الفرع الذي ستخرج منه ، أراد أن يدخن لكنه تذكر إنه اقلع عن السيجارة يوم امس ، تشاغل بتقليب مجلة للأزياء كانت موضوعة على الكرسي بجانبه ، لم يكن ينظر للمجلة، انحصر تركيزه على الفرع الذي ستخرج منه عجلتها ، يقلب أوراق المجلة بأصابع مرتعشة ، تركز عيناه الى مدخل الفرع ، يشعر ثمة بدبيب خيالات مزعجة تحاصره من كل الجهات ، تذكر انها ، في الصباح شربت قهوتها بالحليب على عجل ، وتركت نصفها في الاناء ، وليس هذا من عادتها ، فهي تحب ان ترشفها الى الآخر ،

وتحب أن تدخن سيجارتها نوع كنت وهي تنظر عبر الشرفة الى الحديقة المجاورة في الحي.

لأول مرة يراها تدخن في سيارتها ، ويراها تخرج من دون ان تبلغه بشراء خضار اليوم ، خرجت من الغرفة ترتدي البنطلون الحليبي ، طالما حذرها من ارتداء هذا البنطلون الابيض الذي يكشف عن جمال ردفيها ، لكنها اليوم لبسته غير مبالية بتحذيره ، ولم يعترض ، لا يريد أن يعكر مزاجه بتفصيل صغير مثل هذا .

خرجت بعجلتها من الفرع ، واستدارت يمينا ، فلحقها ، أيقن انه قد عرف لعبتها ، لذلك اخذ الحذر في تتبعها ، تتميز سيارتها باللون القرمزي ، لون يختلف عن بقية الوان السيارات في الشارع ، لا يصعب عليه ملاحقتها وتتبعها ، توقفت في الاشارة الحمراء .

احتسب المسافة بينه وبينها بحدود خمس سيارات صغيرة، ربع دقيقة ثم اضاءة اللمبة الخضراء، فانطلقت السيارات، لم تتوقف أصابعه عن الارتعاش وقلبه عن الخفقان، تذكر ليلة البارحة عبارتها الغامضة عن المصممة التي طردتها قبل اسبوع، لمّحت له عنها وهي تستعد للجماع، " تخيل ما تشاء، حتى لو كانت المصممة " ثم التهمته بجسدها.

وصلت الى مفترق طرق، انحرفت الى اليسار، أيقن أن هذا الشارع لا يؤدي الى المعمل، أزداد خفقان قلبه، بدأت لعبته تتصاعد وتائرها، لحق بالإفلات من الاشارة الحمراء وانحرف خلفها، كانت هناك سيارات قليلة ، حاول ان يبطأ سيره لئلا تكتشف ملاحقته لها ، انعطفت الى فرع اخر يتميز بوجود فندق الاكساتير الشهير.

توقف في بداية الفرع، وتوارى عنها بالانشغال في البحث عن شيء ما في جوف المقعد بجانبه، وعندما رفع رأسه، وجدها قد دخلت الى الفندق، ضرب المقود بقوة واطلق زفرة قوية " الى اين أنت ذاهبة يا مجنونة ؟ " اطفئ محرك السيارة وبقي مترددا، هل يترجل حتى يفاجئها، ام يستمر في المراقبة؟ ركن الى الحل الثاني، فلا يريد ان يفضحها او يفضح نفسه

تذكر ليلة الامس، كانت تنظر اليه تلك النظرة الثاقبة، وهي تجلس فوقه تؤدي رقصة الحياة الشيقة، لم تنسجم نظرتها مع مشاعرها الشبقية المتدفقة، خشي أن تكون المصممة قد افرطت بفضح سرهما المشترك، ولكن كيف يمكن لاي امرأه في العالم ان تكشف سرها لغريمتها في الفراش؟

بقي ينتظر خروجها من الفندق مدة ساعة، ولما خرجت، صعدت سيارتها، وسارت بها على مهل، شغل محرك سيارته وسار خلفها، يعرف أن هذا الطريق يؤدي الى كورنيش البحر، اذا انعطفت يسارا فأنها ذاهبة الى المعمل، واذا انعطفت يمينا، فإنها ستذهب باتجاه شقتهما، أستغرب من بطء سيرها، حتى انعطفت الى اليسار، فأدرك إنها ذاهبة الى المعمل، تساءل: هل يمكن أن يسكن المصمم الجديد في هذا الفندق ؟ لماذا لم يصعد معها؟ سأذهب فورا الى المعمل وأسبقها، عاد أدراجه الى الشارع الرئيسي الذي يوصله الى المعمل، وقاد سيارته بسرعة، وصل قبلها بربع ساعة ، دخل المعمل ، حيا العاملين والعاملات ، نهضت السكرتيرة ترحب به قبل أن يدخل مكتبه . بعد دقائق دخل رجل في الستين من العمر الى غرفة السكرتيرة ، شعره رمادي ضعيف البنية ، شاهده عبر الزجاج الفاصل يطفئ سيجارته عند نفاضة لدى السكرتيرة قبل دخوله عليه ، القى تحية الصباح وجلس على الكرسي من دون

أن يسمح له بذلك " انا المصمم الجديد ، وددت التعرف عليك " كاد قلبه يخرج من صدره فرحا به ، فليس هو الشاب الوسيم كما تخيله ، وظهر أن السجائر تأكل صدره بسعال حاد ما أن نطق جملته ، شرع الزوج يتفحصه وأخذ يكتم ضحكات مزمجرة لسوء ظنه بزوجته ، غير أن ذهابها الى الفندق كتم عليه مرحه وسروره وأشاع في نفسه القهر ، تحدث بغير تركيز مع المصمم ثم طلب منه الانصراف ، في تلك الاثناء التي خرج بها المصمم، دخلت زوجته ببنطلونها الحليبي الضيق على ردفيها وهي تبتسم، جلست بجانبه من دون أن تتفوه بكلمة، ثم نهضت فأغلقت الباب حتى لا تسمع السكرتيرة ، قالت له " أكملت احتساء قهوتي بالحليب في مقهى الفندق الذي رأيتني أدخله" .

أولاد الشوارع

تمت بيني وبين امرأة جميلة سوداء، مطلقة، عمرها (٢٤) عاما ، تعيش مع والدها الذي يعمل وزيرا في إحدى دول افريقيا ، دردشة عبر الفيسبوك ثم عبر السكايب ، وبعد أن تعمقت العلاقة بيننا وجهت لي دعوة لزيارة بلدها ، تصورت أن الامر مجرد مزحة وطرافة ، لكنها حين بعثت لي ببطاقة الطائرة ذهابا وإيابا، محيت نظرية المزحة والطرافة ، وصار الامر جديا ، لذلك قررت السفر بدافع الفضول والاكتشاف ...

وضعت في الحقيبة ملابسي الداخلية وبدلة زرقاء مع قميصين ، وافردت للحاسوب حقيبة صغيرة احملها على ظهري ، صعدت الطائرة في الموعد المحدد وطارت بنا ، وعندما وصلنا الى مطار نيروبي عاصمة كينيا ، لم استغرب من دقة التنظيم وجماليات المطار والسوق الحرة ، كنت انظر الى المستقبلين خارج قاعة الانتظار فلم اعثر عليها ، كتبت لي قبل هبوط الطائرة " إنها سترتدي ثوبا أبيض قصيرا ، وبتسريحة شعر تشبه الكرة " ، بقيت حائرا لا اعرف ماذا افعل ، فلا وجود لفتاة ترتدي ثوبا ابيض ، اخرجت الموبايل واتصلت بها عبر الواتساب ، " اين انت " وبعد دقائق من الانتظار المشحون بالتوتر كتبت " انا اقف خلفك " ، ألتفت اليها ، وجه أسود فاحم وابتسامة بيضاء تكشف عن إسنان كأنها صف من اللؤلؤ ، ثوبها الابيض يشع بنور يحيط بجسدها الاسود ، ترتدي قلادة ذهبية تنتهي الى وجه تمثال عند مفرق نهديها اللامعين . حملت هي الحقيبة الصغيرة نيابة عني وتقدمتني تسير بغنج

وسعادة، وبين حين واخر تلتفت الي لتتأكد من محاكاتي لخطواتها الرشيقة وهي تمشي امامي تتلوى عجيزتها على ايقاع موسيقى خاصة بها وحدها.

أقلتني من المطار بسيارتها الشخصية المكشوفة بسبب الحر، الى المدينة، كانت تترنم بموسيقى افريقية خاصة بها وتردد كلماتها، قلت لها ماذا تقول كلمات هذه الاغنية، فقالت انها باللغة السواحلية، لغة بلادها وجميع البلدان المجاورة لهم. ثوبها القصير يكشف عن فخذين مبرومين لامعين، وبالرغم من الموسم شتاء الا ان الجو حار جدا ورطب بحيث أحسست أن شعيرات جسدي في الاماكن العميقة تعرقت ثم قالت " اخلع قمصلتك أفضل لك كي لا تضحك الناس علينا " وأطلقت ضحكة داعرة جميلة، تبدو شوارع العاصمة منظمة ومشجرة بأشجار متنوعة، الا ان شجرة الصنوبر يغلب عليها.

وصلنا الى منطقة أكثر نظافة من شوارع المدينة، ووصلت الى بيت يشبه الفيلا، ركنت السيارة بجانب البيت، في مقدمته شرفة واسعة وعريضة، فأشارت الى الشرفة " هذه ستكون غرفتك " دلفنا الى البيت، امشي خلفها بيدي الحقيبة الكبيرة ادحرجها على ارضية المرمر البرتقالي.

صعدنا السلم بخطوات بطيئة، كنت أتجنب النظر الى مؤخرتها شبه المكشوفة، وهي تحمل حقيبتي الصغيرة، ثم دخلت غرفة الشرفة محاولا تخفيف توتري نتيجة صدمة المكان السحري، جلست على السرير العريض ، أشارت الى ملابسي المتعرقة بأن اخلعها وطلبت الدخول الى الحمام ، أومأت الى باب جانبي فأذعنت لها ودخلت الحمام بملابسي الداخلية .

كنت تحت دش المياه أتوقع دخولها علي، الا انها، لم تدخل، فأنهيت الاستحمام على عجل وخرجت لابسا البرنص الابيض عُلق خلف الباب،

كانت قد أعدت طعام الغداء، طلبت مني مرافقتها الى الاسفل. في الصالة تناولت الطعام ، وبعدها شربت الشاي ودخنت سيجارتي ، كانت تحوم حولي مثل الفراشة بثوبها الابيض القصير، حدثتني اثناء تناول الطعام عن اولاد الشوارع الذي يحكمون بلادها ، قالت " كل الوزراء ورؤساء الاحزاب وحتى الرئيس هم من اولاد الشوارع" .

مصطلح لم أفهمه في البدء، وذكرني برواية سلمان رشدي " اولاد الشوارع "، لكنها أوضحت لي أن الاستعمار البريطاني أستلم الحكم بعد البرتغالي وبقي في البلاد حتى الاستقلال عام ١٩٦٤ جعل النظام ملكيا تابعا تديره الشركات البريطانية، بعد هذا التاريخ تحررنا وبدأ حكم الشعب، لكن الذين يحكموننا هم من اولاد الشوارع اي انهم لا اب ولا ام لهم حتى والدها الوزير، اي انهم جاءوا عن زنى.

قالت " ليست هناك محرمات تقف بوجه عمليات الاخصاب بين الفتيات والشباب، وهي قد فقدت عذريتها في عمر الـ ١٥ عاما بالرغم من انها تعيش حياة مرفهة مع والدها. قلت لها " اذن مشكلتكم في المحرمات " لم افهم بعدها كل ما قالت عن طبيعة الحياة لديهم، وخرجنا نتجول في العاصمة بسيارتها وكانت تشير الى اولاد الشوارع عند كل رصيف ينتظرون ما يلقى في القمامة من طعام زائد، قالت " ان آفة دولتنا هي الفساد، وسألتني " هل لديكم فساد في دولتكم؟ فقلت بصوت عال سمعه كل المارة على الرصيف " لا يا بوووي ".

وزير الكاولية

نسي وزير الدفاع، أن يقبّل (الكاولية)، مثل كل مرة ، عندما تدب الخمرة في دمائه، وهو يريد الذهاب الى غرفة القيادة ، لإدارة العمليات العسكرية ضد العدو الايراني. ولما صعد سيارته المصفحة خارج الخيمة التي يجلس فيها عازفو الكاولية المحبوبة ، قال لهم " ابعثوا عليها أحب أن أبوسها " فجاءت تركض بخلاخيلها وثوبها المفتوح من جهتي فخذيها ، كانت لديها ورقة صغيرة بأسم جندي وعنوان وحدته العسكرية، تريده ان يُنقل من الحافات الامامية للجبهة الى أحد المقرات في بغداد ، وقبل أن يبوسها ، أعطته الورقة وقال لها " يأمر أمر الحلو " ...

في اثناء توجهه ليقبلها، وهو جالس في السيارة ، مد يده الى صدرها ليقرص نهدها، ابتعدت قليلا ، في لحظة زهو وغرور لا تعرف " الكاولية " من أين أتتها الجرأة لتفعل ذلك ، صار الوزير عصبيا ورفض ان يقبلها بعد أن مدت بوزها له وشرعت نهديها ، تصورت إنها كانت تداعبه ، وتتدلل عليه مثلما فعلت ليلة امس في الفراش حينما أهتاج وصار يتذلل وهو يزحف إليها عاريا على ركبتيه . لم تعجبه حركتها الاخيرة وشعر إنه جرح في صميمه، خصوصا وان الحماية كانوا واقفين يتفرجون على مشهد مد بوزها وفتح ازرار ثوبها من الاعلى لتظهر نهديها، فقال للسائق بصوته الخشبي " اطلع زمال "، انطلقت سيارة الوزير، أججت خلفها موجة من الغبار في الارض الزراعية العائدة له والتي نُصبت فيها خيمة الغجر قبل ايام.

وضع ورقة عنوان الجندي في جيبه وهو يغلي. ولما وصل الى مقر القيادة العامة للقوات المسلحة، أتصل أحد الضباط الكبار ممن يعمل ضمن طاقم الوزير بقائد فرقة وطلب منه تنفيذ أمر، أرتبك قائد الفرقة في شرق البصرة، وطلب احضار الجندي فورا الى مقره. خلال ساعة جلبوه امامه، ثم اصعدوه في سيارة لا ندكروز مخصصة لنقل الضباط من درجة مقدم فما فوق، وانطلقت به الى خلفيات الفرقة. لا يعرف الجندي قريب الكاولية، ما الذي جرى له، ولماذا حصل له كل هذا التكريم والتعظيم لشخصه المتواضع، اراد ان يسأل الملازم الذي يرافقه وهو جالس بجانب السائق، لكنه خاف من العواقب، تذكر ان امه وهي اخت الكاولية ، قبل اسبوع طلبت منه ان يترك لها عنوان وحدته العسكرية ولما سألها عن السبب فقالت له " خالتك " ستتوسط لك لنقلك الى بغداد ، لكنه لا يعرف لماذا تم نقله بطريقة تبدو له غريبة ، فيها من التعظيم والاجلال . يعرف أن خالته، لديها معارف كبار في الدولة وخصوصا ضباط الجيش، ولكنه لا يستطيع ان يستوعب ان يصل بها الامر، ان ينفذ امر نقله قائد فرقته وهو مرتبك وخائف من الاعلى.

وصلت السيارة التي تقله الى الخلفيات، ولكنه لاحظ ان لهجة الضباط الذي يرافقه، تغيرت. قال له ابقى في مكانك واقفا هنا قرب باب السيارة، وصاح على الانضباط ، وقال له امرا ، فاخذ الانضباط بذراع الجندي وساقه الى غرفة معدة لتكون مثل السجن .

في الصباح اقتادوه مع بعض الجنود الذي عرف منهم خلال الليل انهم هاربون من المعركة الاخيرة التي جرت في شرق البصرة على نهر جاسم، بدأ قلبه

يرتجف، كانوا سبعة جنود، وثقت اياديهم من الخلف، وعصبت عيونهم، واوقفوهم امام حفرة معدة لغرض دفنهم بعد تنيفذ امر الاعدام بهم .

في الليل، وفي خيمة الغجر، بعد الرقص والغناء وشرب الخمور، انفرد الوزير بصديقته الكاولية ، واخذ منها وطره ،ولما سألته عن ابن اختها الجندي في شرق البصرة ، قال لها ، أظنه صعد مع الشهداء الى الاعلى .

مدلول وبدرية ..

يعمل مدلول محيبس عامل خدمة يقدم الشايات وينظف المكاتب في الفرقة الحزبية (..) ، ذات يوم سمع كلاما خطيرا بشأن زوجته بدرية ، سمع الكلام من مسؤول الفرقة يتحدث به مع أحد الرفاق ، من دون أن يعلما بوجود مدلول يقف خلف الباب الموارب ..

كان مدلول يعلم ان الرجل الآخر، الذي يتحدث معه المسؤول هو ابو جواد الاصلع، الرفيق الحزبي جاره على بعد سبعة بيوت، وهذا الرجل يكرهه كل اهالي المنطقة بسبب تجنيده لمئات الشباب والكسبة للانضمام الى الجيش الشعبي في حرب إيران الطويلة.

تركته ذات يوم زوجته أم جواد. وقبل ترك أم جواد زوجها الاصلع الكريه كانت تقيم صداقة عميقة مع بدرية زوجة مدلول، لكن لا صداقات دائمة بين النساء، حيث جرت ذات يوم بين المرأتين معركة دامية، في الحقيقة معركة من طرف واحد، في البدء كانت هناك مناوشات كلامية من العيار الثقيل، قصف مدفعي على بعد سبعة بيوت ، كانت ام جواد هي التي بدأت المعركة، خرجت من عتبة بيتها بثوبها الوردي وبذراعيها المكشوفتين الى منتصف الشارع تخاطب بدرية " ولج بديران أم الرجولة .. الخ " كل سكان الشارع خرجوا من بيوتهم في ظهيرة يوم الجمعة، نساء ورجال وشبان وفتيات واطفال وصبيان، ليتفرجوا على المرأتين " تذكرين لما رحنا لمحلات الذهب في الكاظمية "نظر الناس الى بدرية بانتظار ردها وهي تقف بعباءة لا تكشف شيئا من

جسدها سوى وجهها الابيض، واصلت ام جواد، تذكرين لما قلت لي انتظريني هنا في باب هذا المحل ، ثم دخلت انت الى المحل ، وبقيت انتظرك هناك قرابة الساعة ، وعندما خرجت من المحل ، كنت فرحانة .. تذكرين؟ التفت الناس الى بدرية ولم تجب على اقوال ام جواد، تذكرين لما سألتك عن محبس الذهب في اصبعك وقد دخلت الى محل بدون محبس، كنت تضحكين، قلت لي " الزلم امشيهم بهذا ، واشارت ام جود الى وسطها ، بقيت بدرية تسخر منها بهز يدها اليمنى ، ثم رفعت وجهها ويديها الى السماء ، وأخذت تتمتم بعبارات لا احد يسمع صوتها ، في تلك الاثناء ، بعد ان انزلت يديها ، تحولت ام جواد ، الى كلبة تنبح وحدها .. اصاب الناس الفزع والرعب، كيف امكن بدرية بمجرد أن رفعت يديها أن تحول هذه المخلوقة ام جواد الى كلبة، صدمة عنيفة اصابت عقول الناس والرجال، واخذت النساء ترتجف والرجال يصيحون الله اكبر، ثم دخلت بدرية الى بيتها، وبقيت ام جواد عند عتبة بيتها تنبح ولما تعبت وبدأ لهاثها يتفاقم، أدارت رأسها نحو البيت ثم دخلت الى بيتها وهي تهز بذيلها للناس، وبقي الناس الذين شاهدوا التحولات العجيبة على جسد ام جواد زوجة الرفيق الحزبي الكريه، بين مصدق ومكذب .

نترك حكاية المعركة من طرف واحد، ونترك التحولات التي حصلت لام جواد، لنذهب الى الكلام الذي سمعه مدلول، عند باب مسؤول الفرقة، حيث قال الرفيق الاصلع الكريه ابو جواد للمسؤول " ما رأيك رفيقي نزج مدلول بقاطع الجيش الشعبي الجديد " اجابه الرفيق المسؤول " ومن يخدمنا،

من ينظف المكاتب ويقدم لنا الشايات والماء " فقال له ضاحكا " زوجته بدرية وهو لا يمانع حسب ظني ".

تركهما مدلول، وذهب الى غرفته في الفرقة الحزبية منزويا، خائفا من المصير الذي سيلقاه في الجبهة، وتفاقم خوفه على بدرية التي يعرف براءة روحها وطيبتها وسذاجتها. في البيت عندما اراد ان ينام بعد أن مارس الحب معها، قالت له لا تهتم أنا لها، سأكون عند حسن ظنك ولن يلمسني أحد قط ".

ذهب مدلول الى قاطع الجيش الشعبي في ديزفول الايرانية التي أحتلتها قواتنا، وبقي ثلاثة اشهر هناك وهو لا ينام الليل، يتقلب على الجمر خوفا على زوجته ، ولما عاد قاطع الجيش الشعبي ، ووصل الى البيت ، فرح بزوجته وبقي معها يتحدث ويمارس الحب حتى الصباح . ولما ذهب الى الفرقة الحزبية في اليوم التالي ، وجد الرفاق عبارة عن كلاب تنبح في كل مكان من البناية .

هليل مفسر الاحلام

أستقر هليل آخيراً في القصر الجمهوري، كمفسر للإحلام، وأول حلم فسره للرئيس الذي يرى في منامه ثعالب تتطاير باجنحة عند سرير منامه وهناك غزلان في حديقة القصر مقتولة تسيل دماؤها من قصره حتى البصرة فقال له هليل ، هذا يعني أن قوات عراقية ستدخل الى بلد عربي ولا أحد يعلم بدخولها حتى الجنود أنفسهم ... فهزّ الرئيس كتفيه ضاحكا، وقال الى هليل "عفية يجرالك"..

وبعد أيام، جرت معركة صحون العشاء الطائرة بين الوفد العراقي والوفد الكويتي، في عاصمة دولة عربية صغيرة جدا، أدت هذه المعركة الى دخول القوات العراقية الى الكويت في ليلة ظلماء .

وذات يوم حلم الرئيس بأنه يرى الكلمات تخرج من شفتيه لتتحول الى نجوم تتلألأ في سماء العراق الصافية! ففسر هليل هذا الحلم بالقول : أن الشعب سيخرج عن بكرة ابيه الى الشوارع تأييدا لملحمة الفداء عندما يُضم الفرع الى الاصل، لكن الذي حصل بعد أشهر أن أطنان من الصواريخ الذكية وجهت الى كل البنى التحتية العراقية لتدمر كل شيء، وفي صباح بارد مسك الرئيس هليل من ياقة قميصه الحريري الابيض، وقال له ، ما معنى زعيق الجنود في ساحات القتال " يا محلى النصر لو فرينا" هليل الطيب الذكي برر هذا القول بأن الشعب أراد الضحك والسخرية من أميركا، فأرتاح الرئيس، لكنه عندما نال غفوة قليلة، حلم بأن الثعالب أخذت تطير بإجنحة فوق سرير منامه،

وشاهد الغزلان نفقت على طول الطريق بين الكويت والبصرة، فقال هليل بأن الشعب سيتلاشى ويبقى القائد رمز العزة باقيا شامخا يحارب الكفرة.

وبعد سنوات، حلم الرئيس بأن الناس يحملون بيوتهم على رؤوسهم بدون أبواب ولا أغراض ليبيعوها في مساطر على الحدود، ففسر هليل بأن الشعب سيرتدي الملابس العسكرية ليحارب الجوع، فقال له الرئيس وما معنى الثعالب الطائرة التي تزعق في سماء العراق، وعلى رأسها عمائم بيض فقال له " هؤلاء هم القتلة الذي سيأتون الى العراق بعد أن تتلاشى اميركا " ضحك الرئيس وهز كتفيه " عفية " .

تنقل هليل من قصر الى آخر يفسر أحلام عائلة الرئيس واحدا بعد الاخر، وأغرب حلم حَلِمَ به أبنه الكبير وطلب من هليل تفسيره أن أفاع بيضاء وسمراء تخرج من مؤخرته، فقال له، بأنك سترى الفاتنات يتهافتن عليك وستصبح محبوب هوليود. وبعد سنوات حلم الرئيس بأنه يمسك بندقية صيد قديمة يصطاد الفئران والجرذان وهي تحلق في سماء العراق، ففسر هليل قائلا للرئيس بأنك ستصعد الى مكان عال لا أحد يصل اليك تصنع من الهواء بشرا وترسل بهم الى الارض، وثمة مطرب معروف يجلس على شاشة كبيرة في ساحة الاحتفالات ، هذا المطرب صافن يفكر ولا يغني ، فأرتعد الرئيس وشعر بالرعب ثم سأل هليل " وهل هناك أحد يفكر غيري " فأبتسم هليل وقال له بسذاجته المعروفة " سيدي هذا المطرب جالس يفكر ويغني وهو يقول " مدري الناس تترس الشوارع مدري الشوارع تترس الناس " فضحك الرئيس وهز كتفيه " عفية " ..

الاسكندر المقدوني

أصبح هليل، المرشد الروحي للقائد حفيد الاسكندر المقدوني، بعد هزيمة معركة كويتسان التي وصفتها فرقه الاعلامية بإنها معركة باسلة، وأول اقتراح قاله المرشد وهو يجلس بين يدي القائد الحفيد، بينما كان الآخير مسترخيا، متمدداً على جنبه الايمن واضعا ذراعه وكفه مسنداً لرأسه يراقب تزاوج البط في بحيرة صناعية في أحد القصور، قال له " أن كتب التاريخ تقول أن تابعا لإحد القادة العرب ، تزوج ٧٠٠ امرأة ، يبقي أربعة نساء على ذمته شهرا أو شهرين، ثم يطلقهن، دائما هناك أربعة زوجات بعمر العشرين أو أقل، حتى لايتهم بالزنى، فلاقت هذه الفكرة هوىً في نفس القائد حفيد الاسكندر لتعويض خسارته المدوية في معركة كويتستان.

ولما سأل حفيد الاسكندر هليل كيف أستطاع ذلك القائد ان يحظى بـ ٧٠٠ امرأة، فقال انه ما أن يحتل بلدة من بلدان العالم ، حتى يطلب من كبار رجالها جلب بناتهم معهم ليعين أحدهم حاكما على البلدة حين يجتمع بهم ، فيتم وضع اولئك الرجال في قاعة والفتيات في آخرى، وأول عمل يقوم به هو البحث عن الفتاة المناسبة ، أجمل الجميلات ، يجب أن تكون ذات جسد ممتلئ من الخلف، ووجهها أبيض، ذات عينين كبيرتين عسليتين، ليجد نفسه محلقا في سماواتها اللونية، ويتخيل نفسه كيف يسبح في بحرها المضطرب . تلك كانت طريقته في العثور على نوع الجمال الذي يروقه، حتى يُطلب من الفتيات الوقوف صفا واحدا يبحلق بظهورهن فيما ووجوههن الى باب القاعة

التي تؤدي الى آخرى يجلس فيها أولئك الرجال الذين سيجتمع بهم بعد قليل، وكان يطيل النظر الى أجسادهن، يتحسس انحناءة الظهر بزعم إنه يريد أن يرى الى إي مدى شعرها ينسدل، ومن ثم، يدور دورة كاملة وهو يتمشى ببطء لمواجهتهن وجها لوجه، يطلب المترجم من كل واحدة يُنظر إليها أن تبتسم ليرى صف اسنانها، يستغرق البحث عن المرأة المناسبة ساعات، حتى يتضايقن ويتبرمن، فأكثرهن تبرماً كانت تجذب انتباهه ، ثم يختارها . ينصّب والدها بعدئذ حاكما محليا على البلدة. سأل حفيد الاسكندر هليل عن السبب الذي يدعوه لاختيار المتبرمة، قال: يعتقد القائد العربي إنها ستكون مريحة وأكثر حنانا وصبورة.

ولم تمض سنوات حتى بنى الحفيد في كل محافظة قصرا منيفا مرتفعا يطل على البلدة، ووضع في كل قصر امرأة، تحرسها جوقة كبيرة من الحرس، والكلاب.. تلك المرأة يجب أن تبقى في حالة استعداد دائم لاستقبال زوجها. لكن الحفيد كان على الدوام يشعر بالملل، بسبب إنه يعتقد أن التأريخ سوف لن يذكره كما يذكر القادة العظام، ففي يوم وهو ينظر بغيرة وحسد الى آثار بابل، طلب من المسؤولين وضع أسمه على كل طابوقه من الابنية الكثيرة في تلك الاثار حتى يقال إنه هو باني الحضارة نفسه الحفيد. وفي ليلة سأل القائد الحفيد هليل عن أصحاب الاخدود وماهي قصتهم؟ فقال له انهم مجموعة من البشر يؤمنون بالله ولا يؤمنون بوصايا الملك. فقام الملك وحفر لهم حفرة عميقة وزجهم بها، حتى أن امرأة كانت تحمل رضيعا وقبل أن تُرمى في الاخدود ترددت وكادت أن تعلن ألحادها وحبها للملك غير أن الرضيع

أنطقه الله، وقال لامه هيا يا والدتي لنذهب الى جنة الله الواسعة، ضحك حفيد الاسكندر، وقال خرافات..

بعد سنوات، هزم حفيد الاسكندر في معركة ضارية تضرر من جرائها الشعب ضررا بالغا، فطلب من المهندسين المسؤولين عن قصوره أن يحفروا له اخدودا لوحده كي لا يتم العثور عليه، ثم يظهر بعدئذ ليقود الشعب الى العلا بعد انجلاء المعارك، لكن المعارك مازالت مستعرة، وبقي حفيد الاسكندر مدفونا في الاخدود الذي حفره لنفسه الى يومنا هذا.

جنود مجرمون

نقلني آمر اللواء الى الحجابات، على نهر الحويزة، مقابل العدو الإيراني بمسافة ٤٠٠ – ٥٠٠ مترا فقط .. صعدتُ الى الدوبة ، مكان تموضعي ، فتعرفت الى أشخاص لم أجد مثلهم في حياتي أبدا ، وقفت في منتصفها ، في ظلام الدوبة الحالك ، ، الظلام ضروري لأن المسافة قريبة بيننا والعدو ، ويمكن أن تُرصد اي حركة فوق الدوبة وسط أحراش القصب والبردي بمجرد أن يشعل أحدنا سيجارة ، عندئذ لن تتوقف نيران القنص لجهة السيجارة ، قلت لهم نقلني آمر اللواء الى هنا ، فقال أحدهم وقد تبين لي منذ اللحظة الاولى إنه الأكثر رشدا ، " لا ينقلون الى هنا الا من كانوا مجرمين وسفلة من وجهة نظر آمر اللواء" ، ثم أطلق ضحكة هادئة ، بعدها سحبني برفق من ذراعي ، " لا يجوز أن تبقى واقفاً ، يجب أن تسير على الاربعة أو زحفاً ولا تنهض أبداً . أخبرنا الآن، ما هي جريمتك؟ قلت لهم نقلني الآمر لإني قلت له في حياتي المدنية أعمل صحفيا. أحدهم أخذ حقيبتي العسكرية " اليطغ " والآخر أستل بطانيتين، جعل الأولى فراشاً والآخرى أتغطى بها والثالث بدأ يحضر الطعام والرابع جلس عند قدمي يفك خيوط البسطال . سألت نازع خيوط البسطال عن جريمته ، فقال آني مو بعثي وما اصير بعثي لو تشلع عيونهم ، خوات الكحبة . وسألت الطباخ عن جريمته فقال أبن أختي عبر من هنا بين الهور وسلم نفسه للإيرانيين، ضاحكاً، وسافعلها مثله طبعاً. فارش بطانيتي وهو الأكثر دندنة بصوته الجميل، وياما

غنى لنا مواويل تقطر عذوبة ، قال بدون أن أوجه له السؤال : أما جريمتي فهي بسبب أمتناعي عن العمل قوادا ، وضحك ، أنا سائق آمر الفوج (..) ، نزلنا ذات ليلة الى البصرة ، أنا والرائد الآمر ، ليبتاع بطل عرق ، شاهد فتاة سمراء تتمشى ، فقال ترجل، أوقفت سيارة الواز وقلت له ترجلت سيدي ، ماذا هناك ؟ ناولني ورقة صغيرة وقال " أعطيها رقم تلفوني المدني " فرفضتُ ، وين كاعدين احنه ، يريدوننا نصبح كلنا كواويد مثلهم. "

ذات نهار، تم استدعائي من قبل آمر السرية، ملازم صغير السن، لطيف محبوب، قال أريدك أن تكتب لي رسالة غرامية، فجلست أكتب.. عند تلك اللحظات الرومانسية بالغة الجمال، كان يروي قصة حبه المتعثرة، وانا أنتزع الكلمات من ذاكرتي المعطوبة بصعوبة، في ذلك الوقت، أشتد القصف المدفعي، هناك أمطار من القذائف تساقطت على فوجنا الثاني والفوج الاول. لحد الآن لا أستطيع إيجاد إي تفسير، لفقدان قذيفة طريقها فوقعت على أحدى الدوبات في الحجابات. بعد ساعة توقف القصف، تركت رسالة الغرام، واتجهت راكضا الى دوبتي .. تعثرت كثيرا في الطريق، ولما وصلتُ، كان آثار إنفجارها في الوسط تماما.

امرأة المرقد

دخلت المرأة الى المرقد، كان فارغا، يندف الثلج منذ ليلة الامس والمرأة يبدو لي انها لم تنم ليلتها ، وربما كانت تتقلب على فراشها بإنتظار الصباح حتى تأتي الى هنا، وسط هذا الجو الرمادي ، حيث يصعب على المرء أجتياز الطرق المغطاة بالثلوج . جلست المرأة عند رأس الولي المدفون في هذه البقعة من الارض وهي تتمتم بعبارات متهدجة فيها لوعة وحرقة ، ويخيل اليّ أن قلبها مشتعل بالحرائق وأرادت أطفاءها في الهجوع الى مرقد الولي الصالح.
كنت قد أرتديت عمامتي حال دخولها، وبقيت أراقبها وأصغي إليها وهي تظن، إنها تجلس لوحدها في هذا السكون الثلجي، سمعتها تقول " لا اعرف من أين أبدا معك يا سيدي، فانت الباب الذي أريد الدخول منه لإيصال صوتي الى الله ". بقيت أصغي لها من دون أن تعلم بوجودي، كنت أقف خلف المكتبة. رأيتها ترتجف وهي تُمسك بشباك الولي الخشبي " ساعدني أرجوك فليس لي في هذه الغربة من ألجأ إليه سواك يا آلهي ، زوجي تركني ولا أعرف لماذا ؟"

بلعت ريقي أكثر من عشرين مرة، وأنا أصغي لحرائق قلب هذه المرأة ثم قالت " إن لم تساعدني ربما اقذف بنفسي الى الرذيلة التي تكرهها انت " عند كلمة الرذيلة وجدتني اشتعل مثلها بالحرائق وقررت الاقتراب منها لافهم قصة قلبها المولع.. تنحنحت وقلت " بسم الله الرحمن الرحيم " فالتفت خائفة مذعورة الى جهة وقوفي خلفها. فوجئت بوجهها الابيض الدائري الجميل، عيناها

سوداوان وشفتاها مكتنزتان لا اثر للأصباغ، لكنهما تلتمعان بالوردي، وجه برئ طفولي، واكثر ما اثارني جلستها بمقعدها العريض بالرغم من نحافتها مما يؤكد امتلاكها لجسد بض كانت قد أخفته عن العيون بعباءة أسلامية.

قلت لها لماذا أبتعد عنك زوجك؟ ذعرت المرأة وعرفت إنني كنت قد سمعت ما قالت، نهضت ووقفت أمامي خجولة تكاد تطفر الدموع من عينيها " يا سيدي أنا في غربة عن بلادي ، جئت ألتمس من الله عبر الولي الصالح أن يعيد اليّ زوجي " ، بصوت هادئ قلت لها لاخفف من روعها " أتبعيني الى غرفة آخرى كي أستمع الى قصتك " ولم تتردد . فلحقتني.

ولما جلست على مقعد خشبي أمام منضدتي قالت " كيف ابدأ قصتي ، أظنني مشتتة البال ، قبل سنة أكتشفت إنه يتراسل مع فتاة رسائل الغرام وهي أجنبية أبنة هذا البلد " .. صعدت الدماء بقوة الى رأسي وأنا أنظر الى العينين اللتين اغرورقتا بالدموع، وقعت عباءتها على كتفيها فظهرت رقبتها كأنها عمود من المرمر أبيض لامعا بقطرات العرق، كانت عيناها حقلا من اللازورد تتراقص فيهما نجوم متلألئة باللون العسلي، بياض وجهها أحّمر بفعل ارتباكها وخجلها، تنعكس انفعالاتها على شفتيها اللتين تبللهما بلعابها كلما توقفت عن الكلام، كانت تروي لي قصتها كيف هجرها ولم يعد يلامسها وأخذ ينام في حجرة آخرى تاركا إياها في ضروب من القلق والشهوة والانتظار . قلت لها " أنت لم تأتِ الى هنا من أجل نور الله، بل جئت للانتقام منه، أليس كذلك ؟ كانت تصغي اليّ، وتنظر الى الاسفل، فما أن قلت " نور الله " حتى نهضت " أين أجد ذلك النور يا شيخ؟ قلت لها " في نفسك، أبحثي عنه، بعض الرجال خطاؤون لا يعرفون معنى الحياة الزوجية

المستقيمة، فاذا كان زوجك منحرفا فلا تنحرفي أنت ويضيع عليك النور، لا تتصرفي تصرفا تندمين عليه ما تبقى لك من حياتك، أصبري واهتدي بنورك فهو الذي سينقذك مما أنت فيه "..

أحمّرت المرأة وخرجت من المرقد راضية مطمئنة النفس.. وأنا بقيت في مكاني أراقب اشتعال الثلج في قلبي.

عسل

"ضيّعت الطريق ، أليس كذلك ؟ " .. هكذا قالت زوجتي وهي تسير خلفي وسط الغابة الكثيفة، وأنا ممسك بيّد صغيرتي، أحمل على ظهري حقيبة المتاع والملابس الشتوية . " توقفي عن الكلام أرجوك، دعيني أركز " . أزداد الظلام والضباب كثافة، غربت الشمس خلف التلال قبل نصف ساعة، وأمسى من الصعب علينا إيجاد مخرج للمشكلة التي وقعنا فيها، لاسيما وأن الشباب المهاجرين مثلنا ابتعدوا عنا بمسافة لا يمكننا اجتيازها بسهولة، كانوا يسبقوننا بخطوات سريعة ونحن نسير بهديهم بإتجاه مقدونيا، أما وإنهم قد اختفوا عن أنظارنا، صار من الصعب أن نجد الحلول العاجلة لتيهنا.

لاح لي ضوء شحيح، أظنه يبتعد نصف كيلومتر، ينبثق من كوخ يربض على سلسلة تلال، لجأ قلبي الى هذا الضوء، وعقلي يخبرني بأن وضعنا سيتعّقد كثيرا إن لم نجد مكانا ننزوي فيه حتى الصباح درءا من مجاهيل وغموض الغابة وظلامها المدمر وما تحتوي من حيوانات قد تكون مفترسة.

واصلنا السير بإتجاه الضوء الشحيح، طلبت من زوجتي أن تسرع بخطواتها، وأنا أعلم أن قواها ما عادت تساعدها على المضي أكثر ، أمضينا نصف ساعة حتى وصلنا الى طريق آخذ بالارتفاع ، حيث يقع في اعلاه الكوخ الصغير ، كان أشد ما أرعبني هو نباح الكلاب، فلا أملك اللياقة البدنية من الهرب أمامها إن باغتتنا ولاسيما بيدي أبنتي التي أخاف عليها أكثر من روحي.

أطلق أحدهم ضوء مصباحه اليدوي وهو يقف بالقرب من باب الكوخ، وعلى ما يبدو، بإشارة منه، هدأت الكلاب من النباح.. اقتربنا من صاحب المصباح، وجدناه رجلا كبيرا يقف مبتسما كأنه ينتظرنا ، ابتسامته أشاعت الدفء في نفسي ، ألقيت عليه السلام فلم يرد ، طبطب على كتفي وهو يبتسم وانتظرنا لحوق زوجتي التي كانت تجر بنفسها بصعوبة وهي تصعد التلة حيث وقفنا.

سبقنا الرجل الى مدخل كوخه، ورحب بنا بعبارات لم نكن نفهم معناها، يضيئه مصباح علق في الوسط، وثمة امرأة بيضاء تبدو في الاربعين تجلس على اريكة ، ما إن دخلنا ، حتى اعتدلت بجلستها، ثم نهضت لاستقبالنا بابتسامة جميلة ، ترتدي المرأة ثوبا أحمر شفافا وعليه لصقت ورود سود ، كان يبرز مفاتن جسدها البض، ولما وقفت ترحب بنا لاحظت طولها الاهيف ، كانت أطول من زوجها كبير السن تبتسم مثله وتطلق كلمات الترحيب، او هكذا ظننا ، ولكننا بعد دقائق ، أستعنا عبر مترجم الغوغل في الموبايل لترميم الشرخ اللفظي بيننا.

أستطعت أن أعبر لهما عن تيهنا وضياعنا وسط الغابة وسعادتنا بترحيبهم ، فقال الرجل يمكنكم قضاء هذه الليلة هنا حتى الصباح مقابل خمسين يورو . بعد ساعة تم إعداد عشاء بسيط لذيذ، شرائح من اللحم المقدد وحساء لونه أصفر وقطعا من الخبز ، همست زوجتي بإذني قائلة بإنها لا تستطيع تناول اللحم لأنها لا تعرف مصدره، وأكتفت بالحساء والخبز على العكس من صغيرتي التي التهمت الطعام بشهية.

كنت أتجنب النظر الى وجه المرأة الأبيض مثل الثلج، عيناها كبيرتان عسليتان، يكشف ثوبها عن نصف صدرها ، وبعد العشاء قدم لنا الرجل شايا ووضعه فوق منضدة صغيرة مصنوعة من خشب الغابة، ثم قدم لي سيجارة لم أستطع جر نفسا واحدا منها .

لا تستطيع زوجتي أن ترفع نظرها عني ، فقد اكتشفت انني مولع تماما بطريقة جلوس المرأة حيث تكشف نصف فخذيها ، همست بعد تناول الشاي " متى ستكف النظر الى المرأة ؟ " ابتسمت لها وأنا أغلي من تلك الغيرة العمياء ، كانت حركات المرأة فيها دعوى فاضحة لكشف مفاتنها، فهي عندما تتجه الى المطبخ، تضع يديها في جيبي ثوبها لتحصره على مؤخرتها الكبيرة، وهي تتمايل ، ثمة نظرات لا أفهم معناها تسلطها المرأة الى زوجها ومن ثم الّي ، كنت أجلس قبالة المطبخ فاتحا قدمي بالبنطلون الجينز الذي أخذ يضايق أعضائي، كانت المرأة تسترق نظراتها باتجاهي بين حين وآخر . نهضت زوجتي الى المطبخ وبدأت تساعدها في تنظيف الأطباق فيما نامت صغيرتي على الأريكة بعد العشاء مباشرة.

بعد تنظيف الأطباق، غفى الرجل في مكانه على كرسي هزاز، وبين أصابعه سيجارة مشتعلة فأخذتها وأطفأتها، جلست زوجتي بجانبي وهمست " هذا الرجل نام " قلت " يبدو متعبا من نهاره."

فرشت لنا المرأة فراشا وسط الصالة ووضعت وسادتين وبطانيتين، ثم غطت صغيرتي بآخرى وأيقظت زوجها المتعب، سار الى غرفته بخطوات ثقيلة.

بعد ساعة استسلمت زوجتي الى النوم، وبقيت مستيقظا وأنا مستلقٍ على ظهري أنظر الى سقف الكوخ المكون من إعمدة الاشجار. بعد قليل خرجت

المرأة من غرفتها ووجدتني مستيقظا، ذهبت الى الحمام، ولما خرجت منه أبصرتني أراقبها، كانت ترتدي منامة حريرية ، اتجهت الى كرسي بجانب الحمام فجلست تبحث عن شيء ما تحته فظهر من الخلف بياض ظهرها وبداية اعلى المؤخرة، فاشتعلت الهسهسة في مساماتي، بياضها يشبه الحليب ، كنت موقنا أن المرأة الشابة ستقوم بعمل من هذا لتكشف بها مفاتنها الخلابة.

أحسست في الاثناء أن نحلة كانت تحوم في أجواء الكوخ، سمعت طنينها بالقرب مني، فكرت بملكة النحل التي تضاجع الذكر مرة واحدة وتقتله، لا أدري لم تصورت أن المرأة هي الملكة، وضعت البطانية على وجهي وحاولت النوم بعيدا عن صراخ الهسهسة المتصاعدة، لكن طنين النحلة مازال يدوي..

فجأة، أحسست بقدمي تُضرب ، كشفت الغطاء عن وجهي فوجدت المرأة تقف عند قدمي ترتب منامتها وترفعها الى الاعلى ، قلت في نفسي، يجب أن أنام وأحلم بها أفضل من خوض مغامرة بائسة مع الملكة ، غطيت وجهي مرة ثانية ونمت ، غير أن طنين الملكة مازال يدوي وشخير امرأتي كان أكثر دويا، حتى ظننت انه وصل الى إنحاء الغابة، ليشرخ صمتها وهدوئها ، تمددت الملكة بجانبي وأعطتني ظهرها ، فبادرت وأعطيت ظهري لزوجتي وأنا في كامل الاضطراب.

في الصباح، شكرت الرجل ونقدته مبلغ الخمسين يورو، أخذها مني وأعطاها الى المرأة التي كانت تقف بمنامتها وبيدها قارورة من العسل سلمتها لي، كان يبدو الانشراح والدعة على وجه المرأة.

ودعناهما وغادرنا الكوخ، نسير بخطى سريعة، غير أن طنين الملكة مازال يدوي في أذنيّ وكان ثمة آثار أحتقان واضحا بين ساقي.

المجنون

عندما عدتُ من الأسر، بعد عشرين عاماً، علمتُ أن أمي التحقت بأبي في وادي السلام ، وتزوج أخوتي الثلاثة الأصغر مني ، توزعوا على الغرف الثلاث في بيتنا في مدينة الحرية شمالي بغداد . كنت أتصور إنهم سيفرحون بعودتي ووجودي بينهم فرحاً كبيراً وإنني عدتُ كأخ كبير لهم بعد معاناة مميته أمضيتها هناك في سجون الأسر القاسية القريبة من الحدود الروسية.

ليس لدي غرفة خاصة في البيت، وبابتسامة تنم عن الرضا والقبول، أخبرتهم يمكنني أفتراش غرفة المعيشة كغرفة منام حتى أجد مكانا للسكن بعيدا عنهم.

بعد أسبوع، ذهبتُ الى دائرتي، وجدت الوجوه غير الوجوه التي تركتها، قال موظف الذاتية أن الدائرة أعتبرتني شهيداً ونقل ملفي الى دائرة التقاعد. وعلمت أن أخي الأصغر مني هو الذي يأخذ راتبي التقاعدي ويوزعه بالتساوي على أخوي الآخرين.

لم أستطع هضم أستيلاء أخواني على مرتبي التقاعدي طوال عشرين عاما ، كنت أتصور إنني سأجد أمامي ثروة كبيرة تمكنني من شراء بيت صغير ، والشروع بالبحث عن حبيبتي لكي أخطبها إذا بقيت تنتظرني لحد الان.

ذهبت الى دائرة التقاعد لأخبرهم إنني لست شهيداً ، مطالبا إياهم بعودتي الى الوظيفة ، فضحك الموظفون من عقلي وتصوروني مجنوناً مثل بقية الاسرى الذين لم يستوعبوا الحياة الجديدة فأنهارت قواهم العقلية.

طلبت من أخواني هوية التقاعد كي أستلم بها راتبي ، فضحكوا وزوجاتهم ضحكن أيضاً فيما نحن جالسون في غرفة المعيشة نتابع التفلزيون الذي كان يعرض نشاطات الرئيس وهو يفتح ثلاجات الفقراء.

بعد أن يئست من أخواني ، ذهبت في أحد الأيام الى دائرة حبيبتي ، ووقفت في المكان نفسه الذي كنتُ أنتظرها فيه ، حين كانت تخرج عند نهاية الدوام، وعندما حانت ساعة خروج الموظفين ، تواريت عن الأنظار ، كي أجعلها مفاجاة لها ، وفعلا ما أن رأيتها حتى تتبعتها وهي تسير متانقة ، كأنها غزال تتراقص في مشيتها ، دخلتْ الى مرآب ، لحقت بها وهي تتجه الى سيارة تيويوتا ، ولما أردت أكمال حلقة المفاجأة عليها ، وقفتُ عند باب السيارة الأمامي بجانب السائق . نظرت هي باستغراب أول الأمر ، ثم بعد ثوانٍ ، بدهشةٍ ، ابتسمت ، بعدها زعقت " نديم .. أنت نديم "، فرحتُ أشد الفرح لأنها تذكرتني ، بقيتُ أنظر الى وجهها الجميل الذي أحبه ، وأتمعن بابتسامتها العذبة التي كنت أحلم بها كثيرا في ليالي الغربة الموحشة بين جدران الأسر . بعد لحظاتٍ وقف رجلٌ بجانبي ينظر ألي بإحتقار وازدراء وهو يهّمُ بفتح الباب، فقالت له " هذا هو المجنون الذي يحبني سبق أن حدثتك عنه كثيرا " دفعني الرجل عن الباب وصعد بجانبها، انطلقت السيارة وهما يتضاحكان بأعلى صوتيهما.

عدتُ الى البيت خائباً، طرقتُ الباب فلم يُفتح، بقيتُ أكثر من أربع ساعات عند العتبة ولا أحد فتح الباب .. ولم يُفتح لحد الآن

آخر القطارات

في محطة المترو، تحت الارض ، أنتظر آخر قطار للعودة الى شقتي ، قبل أنتصاف الليل بدقائق ، وليس ثمة أحد سواي في المحطة، غير إنني أبصرت ، امرأة تجلس في آخر صف المقاعد ، تنتظر مثلي آخر قطار .. لا يكشف الضوء الشحيح عن عمرها وشكلها، فهي غارقة في الصمت والانتظار.. ثمة أمطار غزيرة في الأعلى، تتدفق سيول المياه الى المحطة تحت الارض، وهذا ما سبب لي قلقا من احتمال تأخر القطار الاخير ، المرأة في الجانب الآخر ، لا أعرف كيف يمكنني التحدث معها، لمعرفة أحوال القطارات الاخيرة .. مشيت إليها بارتباك ، ثمة عطب كامل في داخلي ، لم يكن هدفي الحقيقي معرفة أحوال القطارات، بل حقيقة هذا الكائن الأعزل الذي يتدثر في الظلام، كنت أصغي الى وقع خطواتي ، وأترصد كل نأمة أو أشارة ستصدر من المرأة القابعة في الظلام، ولما أقتربت منها ، رأيت نصف وجهها من الأعلى ، أنفها الدقيق وعينين القلقتين وجبهتها المعرقة ، لم أُخطئ في معرفة ألوان العذاب والخوف الذي يخيّم على مشاعرها في هذه اللحظات ، جلستُ بجانبها وأنا مثلها أكثر خوفا ، هي غريبة وأنا غريب ، تضمُ يديها في معطفها الأسود المبلل ، يقطرُ وشاحها البنفسجي ماءً ، كانت تنظر لي بضراعة الا أسببّ لها المزيد من الخوف ، وبالكاد أستطعت أن أبتسم لها كي أبددّ ما يعتمل في نفسها من غليان ، كانت تراقبني وقد أتسعت عيناها الجميلتان ، لم أستطع تحمل رؤية أنسان خائف ، همستُ بكلمات رقيقة

محاولا مؤازرة روحها القلقة ، شعور بالضيق كان ظاهراً في عينيها ، لم تردّ على كلماتي الهامسة ولم أنجح في التخفيف من وطأة التوتر بيننا ، شغلتني عيناها المتضرعتان، وآنسني جمال وجهها الأبيض ،كانت تبدو أقل من عمري بعشر سنوات ، ربما في الأربعين ، قدمت لها سيجارة ، فقبلتها ، أشعلتها لها ، كانت تدخن باصابع مرتجفة، تتجه عيناها نحو مسار القطار الذي كنا ننتظره، أيقنت إنها تعسة ، وثمة ما جعلها تخرج في هذا الليل الغامض من بيتها ، ولكنها الى أين ذاهبة ؟ لم تسعفني محاولاتي في طمأنتها ، كشفت حركة شفتيها وهي تمص السيجارة عن أدمانها بالسجائر ورغبتها بالحياة ، شغلتني شفتاها ، جميلتان ورديتان يتقاطر منها اللعاب، تحاول منعه من التدفق أكثر من اللازم ، نظرتُ الى حذائها الملوث بالماء والطين ، يبدو إنها كانت تسير مسرعة حتى تصل الى هذه المحطة هاربة من شيء ما ، دنوت منها والتصقت بها، فلم تتحرك لتمنعني من احتكاك فخذي الأيسر بفخذها الأيمن ، كان جسدها ليناً ودافئاً ومثيراً، ترتدي ثوباً بنفسجياً وفوقه معطف أسود مبلل ، أعدت عليها كلمات الاطمئنان، فلم تأبه بي ، تنظر الى جهة أقبال القطار ، قلت لها أنا مثلها بلا زوجة ولا أولاد ، هجرتهم مثلها ، خرجتُ في هذا الليل بحثاً عن حل ، ووجدت القطارات هي الحل ، لم تعر اهتماما لكلماتي ، أنهت سيجارتها ورمتها ، مثلها فعلت . جاء القطار، صعدنا فيه، كنا لوحدنا في العربة ، جلستُ بجانبها، لصقت فخذي بفخذها مرة ثانية ، سرى تيار كهربائي في جسدي ، ألتفتت إلي وأبتسمت ، فأبتسمتُ لها .. بعد دقيقة ، سار القطار على سكة آخرى ، هذه السكة طريقها الى الجبل حيث أسكن ، وربما هي تسكن هناك أيضا، أزدادت سرعة

القطار وأخذ يطوي المسافات، لا أحد يصعد في المحطات، ذلك لأنها خالية من البشر، كانت المدينة تركض خلفنا بأضوائها البرتقالية، والقطار يصعد الى الأعلى ، كان يصعد بسرعة جنونية والمرأة التي بجانبي ، كانت كلما زادت سرعته أخذت تمسك يدي اليمنى بقوة وخوف ، ثمة طريق مريب أخذ يسير فيه القطار ، لا يؤدي الى محطات ، كان يصعد الى الأعلى ، أعلى من الجبل، حتى وجدنا أنفسنا نطير بين الغيوم، ولكن الى أين ، تمسك المرأة يدي بقوة وذعر لا تعرف مثلي الى أين نحن ذاهبان ، كان القطار يسبح بين الغيوم والظلام ، ومازال يصعد الى الأعلى.

طاحونة الشيطان

لم تتأكد الأرملة البيضاء حقا، من سبب أهتمام أبنها بصديقه الأشقر الذي يماثله بالعمر والبنية الجسدية ، شاب مربوع يتمتع بالحيوية والمرح والصحة ، يضحك كثيرا على ولدها ويصفه بالإخرق ، بالرغم من انها لاتجد في ولدها الا صورة مجسدة حية لوالده الراحل ، كالهدوء والأتزان . وعندما يخرج الشابان من كوخها على سفح الجبل بعد تناول فطور الصباح، وهما يسيران باتجاه المرعى ليطعما الدجاج والخراف والبقرة الوحيدة، كانت تراقبهما من النافذة ، وقلبها مع ابنها خشية أن يسقط بسبب جريه السريع قبل صديقه وهما ينحدران الى الوادي ، وقبل أن يختفيا عن أنظارها ، كانت ترى صديقه يتلفت بإتجاه الكوخ ، كأنه يعلم إنها تراقبهما .

بعد أن اختفيا عن ناظريها ، عادت الى شؤونها في ترتيب أثاث كوخها ، الوسائد المتناثرة على الارائك ، وترتيب سرير ولدها ، وجدت سرير صديقه مرتبا بالكامل ، وتاملت طريقة طي البطانية ، جلست على السرير وحاولت أن تشم رائحة الشاب ، أسكرتها الرائحة ، جعلتها بمزاج آخر لم تتوقع على اثره هبوب رياحه على جسدها الجميل ، مدت يدها لتداعب مكان منامه تتحسس الشرشف الوردي باصابع شبه متيبسة ، ثم غادرت الغرفة لتنظر الى المرآة ، لا تريد أن تخزي نفسها ويقل إحترامها لذاتها ، سألت نفسها طوال الليلة الماضية وهي تتقلب على فراشها " هل من حقها ؟ " غير إنها كانت تشعر بهسهسات مدمرة عميقة تريد أن تفجر كل ينابيع المياه في روحها

الحزينة. وضعت يدها على خدها، ومسحت آثار بودرة كانت قد وضعتها ليلة الامس . تقول لها غريزتها ، إنها مازالت تمتلك الجمال الآسر الذي يجعل الرجال يعجبون به ، وهي بهذه القوام الرشيقة والردفين الكبيرين . بدأت تضايقها الملابس، تشعر ثمة باهتزازات ورغبات عنيفة في أماكن حساسة من جسدها، تريد ان تقول لنفسها " لا تقتربي من المخازي " لكنها لا تقوى على ذلك ، كانت نظرات الشاب ليلة الامس ثاقبة حفرت شروخا بليغة في روحها ، وجدت في عينيه ذلك اللمعان الصافي المتشوق ، غريزتها لاتخطئ في فهم كل ذلك اللمعان ، ذهبت مرة آخرى الى سرير صديق ولدها وتمددت عليه ، واضعة يديها على فخذيها ورددت في نفسها " مازلت شابة وأريد الحياة " وإثناء نهوضها من رقودها قالت لنفسها " ما هذه المخازي. "

هرعت الى النافذة لترى الطبيعة والطيور وهي تتغازل تنسج حياتها بحرية وبدون رقابة ، لا تدري الى أين تذهب بهسهساتها ورغابتها الدفينة ، السحيقة ، فهي لم تر من الحياة سوى سنة واحدة امضتها مع زوجها الذي اختطفه الموت سريعا وبقي جنينها يلبط في بطنها ويرفس يريد الخروج قبل الآوان ، وبقيت في صراع دائم من أجل أن يشب ويصبح مثل الرجال ، بالرغم من كل النداءات المغرية التي كانت تستصرخها ، لكنها تجيب عليها بانها غير قادرة على جعل نفسها اضحوكة في دائرة المخازي ، ولدي قبل كل شيء ومنتهى كل شيء ، لكن الولد شب واصبح كبيرا وصار لديه اصدقاء رائعون مثله يمضون اوقاتا طيبة معه في مزرعتها ، وهذا الشاب الاشقر يأتي اليه ، كل سنة ، من المدينة الكبيرة ليمضي معه شهرا ، يكركران الى الصباح ويتحدثان في امور لا تفقه معناها ، حتى قالت ليلة الامس " لم لا " ومن

اجل ذلك اعدت نفسها هذه الليلة ، هذه الليلة بالذات حتى لو طاردتها وساوس العار والخزي ، " لم لا " هو الصوت القوي الذي أخذ يصارعها .. أعدت وجبة الغداء وبانتظار مجيئهما بعد غياب ساعات ، غير أن الذي حصل ، أن ولدها جاء لوحده ، وقال لها بأن صديقه غادر المزرعة لظرف طارئ بعد أتصال من أمه .. نظرت الى ولدها الشاب الجميل وقبلته فرحة ونسيت صراخ الغابة في جسدها ومحت من ذهنها بسرعة دوي طاحونة الشيطان " لم لا."

الأخرس والأرملة

لدى الارملة البيضاء الجميلة، خادم شاب أخرس، هو أبن حارس مزرعتها التي ورثتها عن زوجها، توفي الحارس قبل سنة بحادث عرضي بعد أن نطحه الثور في بطنه اثناء اقتياده الى البقرة الوحيدة ، ومن باب العطف والحنان وأحياء ذكرى الحارس الوفي ، أبقت الأرملة أبن الحارس الشاب الاخرس في خدمتها .. هل أخطأت حين أبقت أبنه يخدمها؟ هو جالس الان متصالب ينظر الى مسلسلها الذي تتابعه بشغف منذ الموسم الاول قبل أربع سنوات ، اي بعد سنة من وفاة زوجها ، تحب بطل المسلسل الوسيم ،لأنه يبعد عنها ذكرياتها المرة مع زوجها الراحل ، يتمتع البطل بجسد مفتول العضلات ووجهه ليس مثل وجه زوجها هزيل الجسد أكله الدخان والعرق الابيض ، وجه البطل بيضوي دائري جميل ، لديه عينان زرقاوان وشفتان ورديتان لم يمسسهما دخان السجائر ، تبحث الارملة عن السبب الذي يدعو حسن الى مشاهدة المسلسل معها، فوجدته يتماثل في الشبه بينه وبين البطل ، كانت تراقب حسن حين يختلي البطل بالعشيقة الجميلة يبادلها القبل لترى رد فعله ، فكان يغفر فاه الى الاخر ، حينئذ ، كانت تنهض الى غرفتها حتى ينتهي مشهد القبل ، تراقب ردود أفعاله من خلال مرآة منضدة الزينة التي تتوسط الغرفة ، لكنها لاحظت ان السلسلة الفضية في جيده تكاد تنقطع من فرط تمرير أصابعه عليها ، تتابعه عبر المرآة حتى تنتهي وصلة القبل بين البطل والبطلة ايشلي ، كانت تتمنى لو انها قد عادت بها السنوات الى

الشباب لتقارن نفسها مع البطلة فتقول لنفسها " انني اجمل من ايشلي " ، بقي عليها أن تعرف ، هل خادمها حسن يتابع البطلة ويجري معها المحاكاة ؟ وهل يتمنى ان يكون بديلا عن البطل امام الفاتنة البطلة. صبغت شفتيها بإحمر الشفاه وخلعت البلوزة البيضاء وبقيت بثوبها السمائي عارية الذارعين " هكذا سأكون افضل " قالت ذلك وهي تخرج من غرفتها لمتابعة مسلسل " التفاحة المحرمة " الحلقة ٨٣ من الموسم الرابع، وعندما جلست في مكانها، أختلست نظرة اليه، فوجدته يضع قبضته اليمنى على وسطه، وحالما شعر باختلاس نظرتها رفع يده . أنتهى مشهد القبل، وسارت الامور بينهما، كل واحد منهما يراقب الاخر بخلسة، كانت هي التي طلبت منه متابعة المسلسل الذي تحبه ، ولحد هذه اللحظة ، لا تعرف دوافعها الحقيقية حين طلبت منه المكوث في الصالة معها ، لكنها في أعماق أعماقها تعرف السبب . ليس لديها نوايا تشعرها بالخزي والعار، لكنها بحاجة أن تشعر بأنوثتها المحطمة، اما ابعد من ذلك فليس واردا في ذهنها. فهي قد راقبت الشاب منذ صباه كان يتحدث مثل الاخرين غير ان خرسه جاء متأخرا، وذهبت به مع ابيه الى الطبيب المختص لمعرفة اسباب خرسه غير انهما عجزا عن معالجته، قيل لهما انه مر بصدمة نفسية على اثر موت والدته وانعكست حالته على أعصاب أبيه الذي أخذ يشكو لها عدم قدرته على التفاهم مع ابنه ، تتذكر الان ، أن آخر كلمات قالها ابوه لها هي أن ترعاه حتى يجد فرصة في الحياة عندما يبلغ مثل الرجال . ها هي تجلس امامه تضع ساقا فوق الاخرى كاشفة عن نصف فخذيها البيضاوين وتنظر اليه خلسة " هل تعرف ماذا يقولون؟ " فهّز رأسه بالايجاب، لكن نظرته اليها كانت سريعة خاطفة لم يتمعن بجسدها، وهذا ما

ساءها، ماذا تفعل كي تثير اهتمامه وتجعله ينظر اليها كما تريد! انها تحتاج الى نظرة طويلة يستغرق بها في غرز لمعان عينيه في جسدها الذي أمتنع عن الحياة منذ خمس سنوات بعد وفاة زوجها. هي تعلم الان انه ما أن ينتهي المسلسل يغادر كوخها ليذهب الى كوخ ابيه في الوادي ، وجدت نفسها تنهض الى المطبخ من غير تخطيط لما ستفعله ، قالت في نفسها ، لاعمل له طبقا من الدجاج المقرمش لأنه يحبه وستقدم له الطبق بعد المسلسل ، وسيبقى مدة كافية كي تحظى بتلك النظرة المرتقبة ، بعد دقائق جاءت اليه وقالت له " لا تغادر حتى تأكل طعامك اعددته لك الان" ، ابتسم وهزّ رأسه وهو يتابع المشاهد الاخيرة . قالت في نفسها " يجب أن انجح في علاجه انه يفهم ما اقول ، سأبذل كل جهدي ، " وعندما انتهت من اعداد الطعام قالت له اذهب الى المطبخ لتجلب طبقك لتأكل هنا ، نظر اليها مستغربا " نعم هنا في الصالة ، أحب أن ارى كيف تأكل !! ثم جلست على الاريكة بجانب الكرسي الذي يجلس عليه وكشفت ساقيها. نهض الى المطبخ، جلب الطبق واندهش من تغيير جلستها، بدأ يتناول طعامه بهدوء وكياسة عالية، بالرغم من انه جائع الا انه لا يستطيع ان يلتهم الطعام كما يفعل في كوخ زوجة ابيه ، استغرق طويلا في تناول طعامه مختلسا النظر الى فخذي المرأة، التي وجد انها ترسل اليه هذه الليلة رسائل لا يستطيع عقله استيعابها بسهولة، وقبل ان تنهض الى غرفة نومها وقفت بالقرب منه وهمست له وهي تبلع ريقها " عندما تنتهي من طعامك تعال الى الغرفة كي تدهن ظهري بالكريم ، هناك تشنج لا اعرف سببه " فأومأ بالإيجاب .

ولما دخل الى غرفتها وجد الكريم بجانب منضدة السرير، كانت تتمدد على بطنها وفوقها الشرشف الابيض يغطي كامل جسدها، وضع الكريم على يده وازاح الشرشف من جهة الرقبة نزولا الى وسطها، كاد يشهق من الانفعال، كان نقاء بشرتها مما آثار حساسيته المفرطة ، مددت يديها بجانب جسدها ولما يصل الى نهاية الظهر عند التكوير أخذت يداه بالارتعاش ، وحتى تساعده في مهمته افتعلت مد يدها وافهمته كل ما يجب فعله .

في صباح اليوم التالي أستيقظ قبلها وقال لها بصوت جميل " صباح الخير " وهي ماتزال راقدة لم ترتد ملابسها بعد.

سرير المحافظ

لا أحد يعلم كيف تمكن "جبار" من دخول بيت متصرف اللواء، ليعمل خادما فيه معززا مكرما من قبل زوجته البيضاء البغدادية، حيث بدأت تظهر على ملابسه ووجهه علامات النعمة .

يُعرف جبار بأنه شخص خصي ، كثير الكلام ، يغدق عليه اهالي المدينة بما يتيسر من المال والطعام والملابس لكونه يقضي لهم اشغالهم من دون ملل ولا يستطيع إي رجل القيام بها ، ذلك لأن طبيعة جبار الخنثوية تسمح له بالدخول الى بيوت الميسورين اثناء غياب الرجال ليحمل الى زوجاتهم سلال من الطعام التي يبتاعونها ويدخلنه السيدات الى بيوتهن من دون خجل ويتلاطفن معه ويعتبرنه كأحد افراد البيت ولم يشعر ازواجهن الميسورون بالغيرة منه قيد شعرة وهو يدخل ويخرج براحته الى بيوتهم أثناء غيابهم . يتحدث جبار مثل النساء ويمشي مثل النساء ويثرثر مثلهن وعندما تجد تجمهرا نسائيا فانه من الطبيعي أن تجد جبار يختلط بينهن ويحادثهن بالطريقة نفسها التي يتحدثن بها ، ويعتمد لازمات كلامية تشبه الى حد بعيد " اللازمات " نفسها التي تقولها النساء كمثل " نزول نزلج " و " خية ما ينحزرون الرجال " وغيرها . وقبل أن يعمل جبار خادما في بيت المتصرف، وصلت سمعته وصيته الى كبار رجال المتصرفية (المحافظة) حتى أنتدبه المتصرف للعمل في بيته ، وهذا ما أثار حفيظة أهل المدينة والميسورين فيها ، اذ غالبا ما يعمل لدى هؤلاء المسؤولين نساء خادمات جميلات يتم أختيارهن لإسباب معروفة .

قبل أشتغاله في بيت المتصرف، لا أحد يعلم أين يبيت جبار وأين يأكل وأين يمضي أوقات فراغه، فهو ليس شاذا كما قد يتبادر الى الذهن، وعندما يلاطفه بعض السكارى الذين يخرجون من نادي الموظفين ويطلبون منه شيئا مشينا ، يشهق مثل النساء ويضرب صدره بكفه ويقول لهم " يا عيبة العيبة " ثم يغادرهم مع سلاطة لسانه التي يخشى هؤلاء السكيرون قذارته التي تجعلهم يخافون الفضيحة .

هناك شخص واحد في المدينة يحبه جبار ويبث إليه بعض أسراره ويخبره عادة بما يصادف من مواقف طريفة مع هذه المرأة او تلك فيغرق هذا الشخص بالضحك ويكرمه، وهو تاجر كبير يسمى " ابو كمال " ولهذا الرجل علاقات واسعة مع رجال الدولة بسبب توفيره حاجيات منازلهم من الرز والسكر والطحين والزيوت ذات الماركات الجيدة .

اهالي المدينة يعرفون ان " ابو كمال " مستودع اسرار جبار، فيطلبون منه مساعدتهم بتكليف جبار لنقل حاجيات معينة الى بيوتهم، ولا يتردد الرجل من تسخيره لنقل الحاجيات الى تلك البيوت طالما تجلب له الرزق والاستمرار في الحياة بدون مد اليد الى أحد.

بات عمل جبار في بيت متصرف اللواء، وهو الشخص القاسي الذي لا يرحم، يشكل نوعا من الفضول لدى الكثير من الرجال الذين يسخرون من جبار، حتى باتوا يخشونه وعدم البوح بإسرارهم أمامه خوفا من نقلها الى بيت المتصرف القاسي ، وحتى أولئك السكيرون الذين يلحون عليه بالأمور الفاحشة بدأوا يخشونه بالرغم من إنهم يعرفون ، كما تعرف المدينة كلها، طيبة

قلبه وأريحيته، وبراءة روحه . فمن المستحيل أن يتصور إي انسان أن يبث جبار شكواه الى المتصرف او الى زوجته البيضاء .

وفي يوم من الأيام سمعت المدينة، أن جبارُ طرد من بيت المتصرف شّر طرده ، وأرتاح الحاسدون لهذا الخبر ، وأختفى جبار عن الأنظار لفترة طويلة ، لكن الفضول لدى البعض جعلهم يذهبون الى أبي كمال لمعرفة حقيقة طرد جبار من بيت المتصرف ، غير أن الاخير أنكر معرفته بإي شيء وعما جرى لجبار في بيت المتصرف وأخبرهم إنه مستغرب مثلهم.

بدأت تتسرب الإشاعات عن سبب اختفاء جبار عن المدينة وشارعها الرئيسي الذي كان يصول ويجول فيه ، واحدة من تلك الإشاعات تتحدث عن سجنه وآخرى تقول إنه قد يكون أُبعد عن المدينة ، وثالثة تتحدث عن رميه بسيارة المتصرف في الصحراء .

ولم يتمكن أحد من معرفة الحقيقة، حتى ظهر جبار ذات يوم يعمل في مقهى صغير قرب الكراج وفوجئ الناس به ولما سألوه عن سبب غيابه وهل حقا أعتقله المتصرف أو رمى به الى الصحراء، فلم يجب، بقي ذاهلا يرد على الاسئلة بضحكة بليدة.

وبعد سنوات، كشف أبو كمال سر جبار وقال لصديق حميم له يضمر اسراره، وهذا سربه الى أحد المقربين له فطش الخبر .

والخبر يقول، إنه بينما كان المتصرف غائبا في مأمورية الى بغداد، وفي الليل، طلبت السيدة البيضاء من جبار، طلبا غريبا، فلم يتردد من رفض طلبها، يقول الخبر إنها أرادت أن " يدلك " لها ظهرها بسبب شد في عضلاته، والمرأة تعرت تماما على فراشها، ليتلقى ظهرها أصابع جبار المرتعشة.

لكن ماذا جرى بعد " تفريك " الظهر؟ لا يكشف الخبر كل التفاصيل، يقال أن روح جبار سيطرت عليها في تلك الليلة، رغبة جارفة في تأكيد شيء ما، هذا الشيء يختفي تحت مساماته، شيء لا أحد يعرف به حتى جبار نفسه ، والمرأة البيضاء عندما شاهدت تغّير خريطة التدليك ورأت أن أصابعه أخذت تلج الى أماكن حساسة، شعرت حينها أن سقف غرفتها بدأ يرتفع وأن سريرها أخذ يطير في السماء وإنها مع جبار بدءا يسبحان بين الغيوم، وذابت كل أمارات التعب والتشنج في عضلات جسدها، وتحول كل ذلك الألم الى مصدر سعادة، لم تكن تشعر بها من قبل أبدا . قيل أن جبار رفض رفضا قاطعا أن يخون سيده وولي نعمته ، بعد أن ظهر عكس ما كان يشاع عنه ، وأن فحولته التي لمستها المرأة خلف الدشداشة كانت من المفاجأة بحيث لم تتمالك نفسها من القول له كلاما فاحشا جعله يتوقف عن العمل ليجلس في المطبخ ، لكن السيدة زعقت به وفشلت من أن تجره من ياقته الى السرير. ولما جاء المتصرف الى البيت بعد يومين من مأموريته، طلبت منه عدم حاجة البيت الى خدمات " جبار " بعد الآن.

الحاجز الوهمي

صعدنا الباص ، أنا وهي ، باتجاه البصرة ، في واجب صحفي . أنا المحرّر وهي المصورة ، هدفُنا ، نقل ما خلفتّه حرب السنوات الثمان على هذه المدينة ، التي شبعت قصفاً وعطشاً وحرقاً لنخيلها وأشجارها وتجفيفاً لاهوارها المتآخمة لضواحيها . أقتنع مدير التحرير بإرسالها معي، في هذا الواجب ، بعد أن أخبرتُه إننا شبه مخطوبين ، وعما قريب سنعلن عقد قراننا ، وقد تأكد هو من ذلك حين أرسل عليها ليستفهم حقيقة خبر خطوبتنا " المزعوم " . أحب جنونها ، حين نكون أنا وهي في بغداد ، ولكني غير متأكد من قدرتي على الاستمرار بالاسترخاء نفسه ، حين نكون خارج العاصمة . ولا أعرف كيف يمكن لهدوئي وصبري أن يصمدا في مواجهة تتبع العيون الفضولية لها، لاسيما ونحن ذاهبان الى الجنوب ، والناس هناك طيبون محافظون ، لكنهم ينظرون الى المرأة السافرة التي ترتدي البنطلون نظرة فيها ما فيها من الكلام .

أنطلقت الباص من كراج النهضة ، فأخذت بذراعي اليمنى إليها وأحتضنتها ثم تمددت خافضة رأسها واضعة ركبتيها لصق كرسي أمامها لتأرجح قدميها ، بعد خلع حذائها ، ثم أغمضت عينيها.

وبعد سبع ساعات وصلنا كراج البصرة ، كنت أخبرت صديقا يعمل في أعلام المحافظة بقدومنا ، فاقسم علي بأن نبيت في بيته .. وعندما دخلنا الى البيت كان قد أخبر زوجته وابنه (١١ سنة) بأن المرأة التي ترافقني هي زوجتي، هيأت زوجته لنا غرفة لوحدنا . وبعد تناول طعام العشاء والأحاديث المبتورة

عن الصحافة والصحفيين ذهبنا الى غرفتنا المشتركة . كانت بسرير واحد لشخصين ، نظرت أليّ تلك النظرة التي أحبها حين رأت السرير المشترك ، وقالت " مو تصير وكح حباب " ثم وضعتُ بطانية حاجزًا وهمياً بين منامي ومكان منامها على الفراش.

تمدّدتُ في المكان المخصّص لي ، وتمدّدت هي في المكان المخصّص لها ، أعطيت ظهري للحاجز ، وبقيت هي نائمة على ظهرها ، لما أطفأت أنارة الغرفة ، أستغرقتُ في النوم متناسياً وجودها تماما . كما لم أدع لهواجسي أن تأخذني الى ما لا يرضيه عقلي ، وكنتُ بمجرد أن وضعتُ رأسي على المخدة حتى وجدتني أستيقظ على إشراقة الصباح ، كانت هي تغط في نوم عميق ، ولما وضعت يدي على جبينها لإيقاظها أخذت ذراعي إليها وأحتضنتها .. لاحظتُ أن الحاجز الوهمي وقع عند قدمي السرير .. همستُ باذنها " صباحك بصراوي إيتها المصورة " فابتسمت وفتحت عينيها مشعة بتلك الإبتسامة الساحرة التي أحبها ، " صباحك عسل إيها الوفي ... "

فطرنا ، ثم اخذنا تاكسيا واتجهنا الى الأهوار التي قيل أن نصف الحياة عادت إليها ، ألتقينا بالناس البسطاء ، صورت هي المياه ووجوه الناس والقصب والبردي والمشاحيف والطيور .. وفي المساء عدنا الى بيت صديقي الذي كان مضيافا كريما وسخيا ، وفي اليوم التالي أمضينا جولتنا في أماكن آخرى ، ثم عدنا وأخبرت مضيفنا إننا في الفجر سنسافر الى العاصمة.

عدنا الى الحاجز الوهمي ، فوضعته وأنا أتابع نظراتها الجميلة ، ثم مدت يدها اليسرى من تحت الحاجز الى يدي وضغطت عليها بقوة ، بعد قليل سحبتها بهدوء كي لا تتصاعد الهسهسة أكثر من الحد المسموح به .. وأدرت ظهري

لها ، لكنها بعد لحظات لكزتني ، فلم أهتم لجنونها ، وفهمت هي أستغراقي بنوم عميق.

وفي الصباح استيقظت قبلي ، واضعة فمها بالقرب من أذني " أستيقظ يا شهريار " على بحة صوتها الهامس ، أستيقظت ، تناولنا فطورنا على جناح السرعة ، ثم ودعنا صديقنا وزوجته على كرم الضيافة وأتجهنا الى كراج البصرة وصلنا الى بغداد بعد سبع ساعات، اسأجرنا تاكسياً فأوصلتها الى بيتهم أولا، ثم أتجهت السيارة بي الى بيتنا.

في اليوم التالي وصلنا الى الجريدة، وفي حوزتنا عدة مواضيع، غير إننا صُدمنا بخبر دخول قواتنا الى الكويت في الثاني آب من العام ١٩٩٠.. وتم استدعاء مواليدي للالتحاق بالجبهة ..

التحقتُ وأُسرتُ في المعركة ووضعونا في منطقة حفر الباطن الحدودية، وبعد مضي أكثر من تسعة شهور لم أعد فيها الى البلاد الا بعد انتهاء مراسم تبادل الأسرى، عدتُ، فلم أجد إي ذكر لحبيبتي لا في الجريدة ولا في إي مكان آخر ، كأن الأرض أبتعلتها . بحثتُ عنها في كل مكان من دون فائدة، تألمتُ بشدة، وبكيتُ عليها كثيراً، وبقي الى يومِنا هذا طعم حاجز غرفتنا الوهمي وقد تحول الى حاجزٍ حقيقي.

***

الفهرس

الايام الطويلة 5
حمام بارد في جو ساخن 10
صفاء تخرج من بيت الزوجية 14
نادية لطفي وهليل 18
أفعى الانثى 21
هليل وهند رستم 23
مونيكا.. وهليل 26
قصيدة هليل 30
الصياد 35
هليل في دائرة حكومية 38
طلسم 42
الغيرة 46
اولاد الشوارع 51
وزير الكاولية 54
مدلول وبدرية 57
هليل مفسر الاحلام 60
الاسكندر المقدوني 62
جنود مجرمون 65
امرأة المرقد 67
عسل 70
المجنون 74
آخر القطارات 76
طاحونة الشيطان 79
الأخرس والأرملة 82
سرير المحافظ 86
الحاجز الوهمي 90

2022